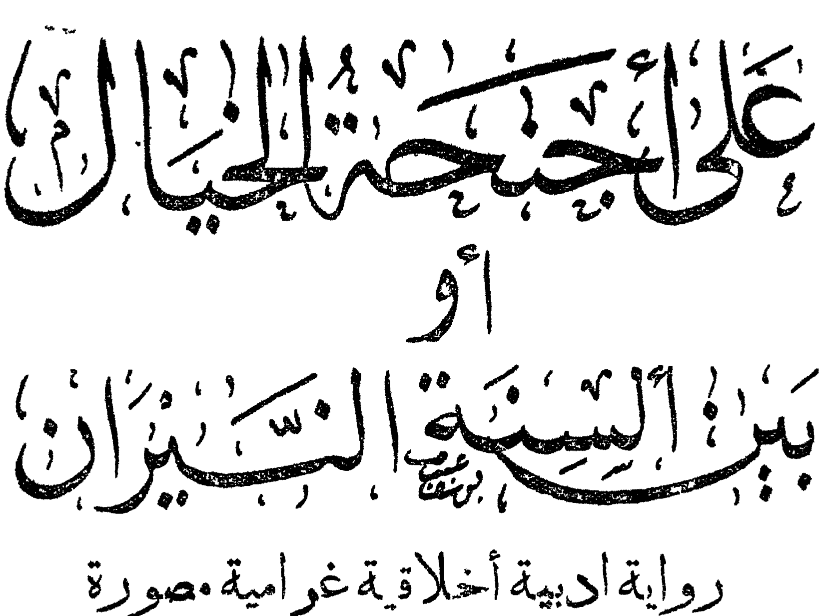


رواية ادبية أخلاقية غرامية مصورة

صورة مكبرة للحياة العصرية المصرية

مفاجآت مدهشة ورسائل غرامية قيمة هى الاولى من نوعها

تأليف الكاتب الاجتماعى القدير

الاستاذ يوسف افندى صبرى

الموظف بدار الكتب الملكية

محمود محمود شعبان -- صاحب مكتبة ومطبعة القاهره

« مطبعه القاهرة بشارع منصور بعمارة سوق باب اللوق بمصر »

الاهـداء

الى روح أبي

يوسف صبرى

الفصل الاول

هنـاك تحت كنف الطبيعة وبين أحضانها يطيب العيش وتوحي الى النفس أسرار الجمال والجلال وتنطلق الروح من أسرها سابحة فى عالم الخلود

وهناك ينشأ قوم طابت منهم النفوس وسلمت السرائر بيد أنهم أقصر الناس باعاً فى التنازع الحيوي وأرضاهم بما أوتوا من بلاغ العيش وذلك خلق أورثه الجهل فأصل حتى أصبح طبيعة فيهم وسجية

ولـكن لا يظن امرؤ أن هـذا شأن جميعهم فان فيهم من تطلعت أنظاره الى المعالى وسمت نفسه الى المجد . ومن هـذه الفئة محمود باشا لمعى من أعيان بلدة بنها والذي ورث عن أبيه ما يقرب من ألفى فدان هو وشقيقته الوحيدة

يرى المـار فى الطريق الزراعى بين مصر وبنها شاباً طويل القامة نحيف الجسم مصفر اللون ضعيف البنية . والتعب ظاهر عليه حيث كان العرق يتصبب من جبينه وكان ينقل خطاه بكل قوة ويدفع بجسمه فى الطريق دفاعا بالبقية الباقيـة من قوته حتى اذا ما نفذت جلس الى ناحية فى الطريق وقد نال منه الاعياء بعد أن قطع يومه ماشيا على الاقدام من غير أن يذوق طعاما ولم يكن أكل فى اليوم السابق غير مرة واحدة

شعر الفتى بالتعب الشديد وأخـذت أعصابه تضطرب وقد
تصدع رأسه فكانت حاجة جسمه الى الفراش الوثير لا بد منها .
وكان لا يزال بينه وبين مدينة بنها ما يقرب التي قام في فجر يوم من
القاهرة كي يصلها . كان بينه وبينها عند الغروب ما يقرب من
ميلين ففكر في أمره وماذا تكون العاقبة اذا هو استطاع ان يجر
نفسه الى بنها جراً حتى اذا ما وصلها ولم يجد صديقه الذي يقصده
لـكي يسعفه بشيء من النقود يسد به رمقه أو يجد له عملا بعد أن
رفت من عمله « منذ ثلاثة شهور » فهو لا يملك مليما واحداً
جلس الفتى منهوك القوي جائعا على أن لباسه كان محكم
التفصيل يدل على أنه تعود العناية بشتري ملابسه التي توافق جسمه .
وكان حليق الوجه فقـد استعمل موساه في الليلة السابقـة تلك
الموسى التي وقعت مع بقية متاعه في قبضة الدائنين
وكانت جلسته على جانب الطريق التي تمتد بين المزارع مستقيمة
مرة وملتوية أخري . وكانت ساعة الغروب والسحب في الغرب
يلبسها الشفق ثوبا جميـلا . وكانت الطيور تمر بجانبه وفوق رأسه
مغردة تحية المساء وهى طائرة الى اوكار فكان المنظر جذابا فاهتاجته
الذكرى فرفع يديه الى السماء كأنه يريد ان يتعلق بنورها وقال
أني أتألم ولـكني أحب الألم وأقدسه . فما أحلى الألم في

دولة الشباب حيث الصحة والعافية

أف لك أيها الدهر كم غررت بالناس . وأثقلت ظهورهم بتقلباتك الكثيرة إذ ما مر عليهم ردحا من الزمن . تراهم يتخبطون نراك بعد حين أحنيت عليهم نخلعت عنهم ذلك الثوب القشيب وأحنيت تلك القامة الميساء . وشوهت معالم هذا الجمال الفتان . وهكذا شأنك اذا سمحت بابتسامة أعقبتها بعبرة وتلعب بالخلائق لعب الصولجان بالأكره

فأف لك من قاس لا ترحم !!!

صبراً أيها الدهر على ما بدر منك لأنى لا أعبأ بحوادثك . ولا أهتم بتقلباتك لأنى سأسير فى طريق الحياة حتى النهاية غير هياب ولا وجل متغاضيا عن قساوتك وصلابتك . وتيقن انك مهما أوتيت من قوة وبطش فلن تغير مجري أفكاري أو تحولنى عن أى غرض أبتغيه

أيها الدهر ... اصنع بى ماشئت . . وقدم كل ما تقدر عليه ... فرق بينى و بين الأحبة ... شتت شملى إن أردت أو ارفعنى الى أى غاية تريد فلن أرضى عنك أو أبتسم لك لأن اعمالك فى نظري لا شيء وكفاك منى احتقاري . . وكفى بالانسان كرها للحياة ان هناك شيئا يقال له . . . « الموت » !!! كفانى سعادة . . . حبي

للطبيعة التى لا يمكن لك ان تغيرها أو تأخذها منى ... فقد أبدعها الله على أحسن جمال وجعلها زينة لعبـاده . . وفتنة ليوم معاده . فأنعم بجمالها على بنى الانسان . . . فتهللت بهذا الجمال الطبيعة تلك نعمة التى تغنى بها الأقدمون وانفرد برؤيتها العاشقون فابتسمت لهم . وابتهجت بهم وأرتهم من بدائعها آيات ومن رقائقها معجزات . ومن لطائفها مدهشات . فكم وقفوا بين اشجار باسقة وشاهدوا من جبال شاهقة ومياه دافقة وكم فتنوا بطيور تغرد فى السماء . ووحوش تمرح الفضاء حائمة حول ورود المـاء . والسماء يلفحها السحاب فتمطر رزازاً . وترعد الرعود ويندلع لسان البرق . ثم تنقشع الغيوم وتظهر الشمس فى قبة الفلك فتلقى أشعتها الذهبيـة على الحقول والبساتين فتسطع أنوارها فى كل مكان . . . فيالها من مناظر ينشرح لها الخاطر

كم اعشاق الطبيعة من وقفات . على شواطىء البحار . وكم تاهوا فى مروج خضراء زاهية حسناء . ترتع فيها الانعام وتتغذى بثمرها المخلوقات . كم جلسوا وتمتعوا بضوء القمر ولألاة النجوم تحت القبة الزرقاء التى تاهت فى أسرارها العقول ... ياله من حكم فى منتهي الابداع

مرت فى مخيلة توفيق كل هذه الذكريات والتخيلات فانبسطت

أسارير وجهه وارتاح فؤاده قليلا فشرد به فكره فيمافوق السحاب ولم يستفق من أفكاره إلا على أصوات قادمة فلما تبينها وجدها قطيع من البقر يثير في الجو سحابة من التراب وراءه راع ينادي البقر بلغة الفلاحين فلما وصل أمام توفيق حياه باحترام وقال

— السلام عليكم ياسيدى ...

أجابه بعد أن اعتدل فى جلسته

— وعليكم السلام ... الى أين أنت قاصد أيها الرجل

— الى القرية التى اسكن فيها ..

— وهل بنها قريبة من هنا ! ؟

— قريبة على الراكب أما على السائر فه [illegible]

— وكم تبعد اذاً ؟

— مسافة نصف ساعة مشيا على الأقدام أما الراكب فلا يحتاج اكثر من خمسة دقائق

— حسنا ... اشكرك

ثم تابع الفلاح السير وراء البقر وهو يصعد أغنيته الى عنان السماء . فتنهد توفيق وقال

— آه ما أسعد هؤلاء القوم البسطاء

تبعت عينا توفيق قطيع البقر وقد دعاه تصرف الراعي الى

التفكير . وكان يعرف شيئا من اخلاق الفلاحين فعلم انه لا يمكن ان يناديه انسان بكلمة (سيد) إلا اذا كان منظره يدعو الى الاحترام. وعليه فهيئته لا تزال تدعو الى الاحترام وقد يكون له من وراء ذلك فائدة وهى ان يكون فى نظر صديقه الذى يقصده غير محتقر حتى يتسنى له ان يسأله عملا عنده دون ان يشك فى أمره فارتاح لهذا الخاطر

الامانة ! كلمة خطرت فى باله ففكر فيها . وجد أنه كان طول عمره أمينا ولكن الى أين قادته الامانة .. فى هذه الأزمة.. الى الشقاء الى الهلاك جوعا

ذكر أيامه المدرسية وذكر مبادىء الشرف التى ربى عليها والتى تمسك بها الى الآن والتى هدمت بيت أبيه من قبل . فقال ماذا تجدى هذه المبادىء الآن فى الحصول على كسرة يسد بها رمقه وفراش يأوى اليه حين ينام و يضع دراهم يعمر بها جيبه الخرب ثم وضحك على ما وصلت اليه حاله من التغيير . أجل .. لقد قالت الحكماء اذا فاجأت حادثات الدهر امرءاً وكانت مصحوبة بالشدائد والأزمات . واذا انقضت عليه المصائب انقضاض الصواعق فنقلت حاله شقاء وصيرت نعيمه بؤسا . أيقظت نفسه من رقدتها وهاجت بروحه من ارتياحها وراحتها

وان البلاء الذي يفاجيء المرء على هذه الصورة لا يشبه اليقظة وانما يشبه الحلم ومن ألف السعادة والغبطة ثم نزل به اليأس الشديد تولاه دهش وانذهال .. كذا من عشق بكل نفسه ففاتح محبوبته فوجدها لا تبادله الحب فارتد خاسئاً وهو أشق خناق لله ويده على فؤاده المطعون بسهم مريش وصل نفذ الى سويداء لبه

وكثيراً ما دامت هذه الحال لانسان فاختل ميزان فكره وأصابه دخل فى عقله فجن .. أصابه الخبل .. ولا نجاة له من هذه الوهدة إلا بالأمل .. بالأمل .. نعم فالأمل هو السعادة ولا نعيم أوفر من الرجاء

لقد كان توفيق من هذا النوع من الرجال بائساً قد قلب الدهر له ظاهر المجن رغم شبابه .. فعاش بالأمل الاحد له والذكرى تملأ قلبه فنجي من الجنون .. وكانت هذه الذكرى .. ذكرى أيام سعادته دائماً مصحوبة بأمله الدائم .. وهي احب شيء اليه تبعث فى أعماق ضميره كل خاطر مستلذ وتستثير من خفايا نفسه كل فكر مستعذب

وكثيراً ما كان حاله يتغير بسرعة فيظهر عليه اليأس الشديد ويسمع هاتفا من صميم قلبه يقول وما هو الأمل أيها الشاب ؟ ان الأمل يملأ فراغ حياتك ولذا فانك تتنعم بنفسك كما تريد

وتعيد ذكرى الماضى . . وفاتك آن كل ذلك غرور وتضليل وان الحياة كلها أباطيل وخدع . فلا قيمة للأمل)

ومع ذلك فقد قال توفيق بلسان لا يكاد يتحرك فى فمه من شدة الألم . ان النعيم فى الأمل . ولن يغرب عن بالي قط ان هنائى فى ذلك الأمل البعيد . . الذى . . أبصر شعاعه يادم فى الفضاء . . أمامى . . حزنى . . وهمومي

صحى توفيق من أفكاره هذه على صوت عصافير بطنه تطالبه بحقوقها المهضومة فنهض واقفا بصعوبة وشد وسطه وتابع السير بخطى بطيء حتى قطع جزءاً غير قليل ولكن التعب أنهكه والجوع نسمم جسمه واليأس هزمه فصارت الدنيا تمر أمامه مر السحاب وأخيراً وقع على الأرض . . . بلا حراك . . فيا رحمة لهذا البائس المسكين !!!

***

أفاق من اغمائه بعد برهة ففتح عينيه قليلا وأخذ يجول بنظره فيمن حوله فأحس بانه راكب سيارة تنهب به الارض نهبا وبين أيدى فتاة جميلة حسناء . . فأغمض عينيه مرة ثانية وسمعها تقول بصوت ملائكى مملوء عطفا وحنانا

ـ أبك ألم ؟

أجاب بصوت يكاد لا يسمع

— كلا . . اشكرك سيدتى . . ولـكن . .

فقاطعته باشارة منها

— لا تهتم بشيء الآن . . لا تزعج نفسك . . أنت فى حاجة تامة الى الراحة

أحيا هذا الصوت ما كان يحتضر من البقية الباقية من أمله فرفع رأسه قليلا وأحدق بنظاره فى وجهها وكان كأنه فى ليلة ليلاء وسط الصحراء وتاه فى ارجائها المتسعة وضل الطريق حتى أشرق القمر بنوره فأضاء كل مكان . فاهتدى الساري . . هكذا اهتدى توفيق واطمأن قلبه وانطبعت صورتها فى قلبه المكسور لأول مرة وخر صريعا تحت تأثير الجمال كيف لا . . والجمال هو ثوب الجلال . ينعم الله به على من شاء من خلقه فى سمائه وأرضه ويرفع به شأن المملوك على المالك والحقير على الأمير وهو علة الكون . . وسبب الحوادث العظيمة ومنه تتولد المحبة والبغضاء

ومن ادراك بالجمال فربما أثار حربا وأهاج شجنا وقد دلت الدلائل انه دولة تزول ونعمة يندثر وجودها . ولما كان الجمال هو السبب الحقيقى فى كل دعوي قال صلى الله عليه وسلم (اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه) وقال ايضا (إن الله جميل يحب الجمال)

ولشدة اعتناء العرب بأمر الجمال قسموه الى قسمين جمال ظاهر وهو ما ظهر من تناسب الأعضاء الجسمانية وجمال باطن هو جمال الاخلاق الرومانية كالعلم والجود والأدب والشجاعة والكرم وكل ما يدخل تحت مكارم الاخلاق

ولما كان الجمال وسطا بين هاتين الغايتين انقسم الناس الى قسمين قسم هام بالجمال الظاهر فكاد يعبد هذا الهيكل الجسماني — والثاني تعلق بالجمال الباطن وتغزل بتلك الخلال الممدوحة وكلا الفريقين أسهب فى غرامه وتاه فى بيداء وجدانه — ولما كان الجمال هو الباعث الحقيقي للوجدانيات القلبية والخطوة الكاملة لجميع خلائق الارض أفرط العشاق فى أهوائهم وتفننوا فى وصف هذه الشمائل . والجمال بوجه عام وضاءة فى الشكل . وسماحة فى النفس . ورقة فى المعنى . وغاية تحن اليها الجوارح بل هو مرمى تتجه اليه الأبصار — ولا مشاحة فى انه هبة ربانية من هبات الخالق سبحانه وتعالى أوجدة فى عظيم مخلوقاته وجميل مبتدعاته فزين بحسنه الانسان . وتجمل بصحته الحيوان وتشكلت برونقه الطبيعة

ولما كان الجمال من مميزات الانسان فى هذا الكون الحافل بالمحاسن الأنيقة والعظمة الفائقة تاه على ما عداه وأصبح له هذا الجمال شغلا شاغلا من شواغل الاشجان وهو فتنة دائمة ومحنة

قائمة . ومن اسبابه تتولد البغضاء وربما تزول أمام قدرته الضغائن وتتولد الأميال

هو قوة غلابة تستهدف المهج . وتسوق ارواح الخلائق الى الاستعباد أو الى طريق الفناء . وقد حارت فى كيفية هذا الجمال عقول الفلاسفة وكادوا يضلون سبيل القصد فيه . ولطائف هذا الجمال ما وجدت فى مخلوق إلا وهامت به الارواح والتفت به الاشباح . وهو كما زعموا نعمة تلعب بالعواطف . وأميال تتولد منها الغبطة والسرور والافراح . الجمال علة كل انسان وهو غاية ما تنزع اليه النفس ويميل اليه الوجدان وتتسرب حوله الظنون فى كل فرع من فروع الحياة

الجمال وهم من أوهام السحر ان لم يكن علة كل مخلوق على وجه الارض وتحت قبة السماء وهو غاية ما تصبو اليه النفس لتنل حظها من بدائعه الفتانة . وطلعت الحسن الباهرة مستزيدة من مخائل هذه الشمائل ورقائق هذه اللطائف لتجد الحظوة من تمام اللذة التى تصبو لها كل نفس حية حساسة

الجمال بهجة من نعم الحياة . وهو غاية يرتاح لها الجهاز العصبي وكلما ازدادت موافقة الانسان فيه ازداد ارتياحه حتى اذا ما وافقه تمام الموافقة انتقل هذا الارتياح من دور النظر الى حب وغرام

وشغف وهيام . والشعور بالجمال يهز النفس الحساسة ويخرجها من أطوارها ومثل ذلك وجودك فى مجلس أو سيرك فى طريق فصادفك من لا تعرفه وبمجرد تراسل النظرة الأولى شعرت بارتياح لمحادثته . ومالت نفسك اليه وبواسطة هذا الانجذاب الروحي حصل التعارف بينكما بسرعة غريبة . أليس ذلك من تأثير مغناطيس الجمال ؟؟؟

هكذا كان شأن الشاب فقد نسي كل شيء فى العالم وآلامه وجوعه وظمأه ولم يفكر إلا فى تلك المخلوقة الجميلة التى هو بين يديها الآن .. فيالها من لحظة سعيدة . هي اسعد اوقات حياته . فقال

— بأى لسان اشكرك سيدتى ؟ . . آه . . يالى من تعس

أجابته وهي تضم رأسه على ذراعها الابيض الناصع

— لا شكر على واجب . . أتشعر بشيء ؟

— الحمد لله . . ولو انى منهوك القوى إذ أننى سرت على قدمي اكثر من عشرة ساعات

— آه .. ولماذا ؟ .. هذا مدهش . . عشرة ساعات

— الواقع ذلك

— ولكن هذا يكفى لهلاكك . . لولا لطف الله . . وأين مقصدك ؟

— لست أدرى سيدتى . سوي أني اخنى على الدهر . . فقد كنت .

فقاطعته عن الـكلام وقالت

ـــ لا أسألك سرد حكايتك الآن التى لا أشك انها مؤلمة

أجابها

ـــ حقا مؤلمة

ـ يسوءنى ذلك . . أين مقصدك ؟

ـــ كنت اقصد صديقا لي .. آه .: غاب عن ذاكرتى اسمه. إذ أننى لم أره منذ أيام المدرسة

ـــ هذا عجيب .. أيكون صديقا لك تقصده كما أرى لشيء هام ولا تعرف أسمه

ـــ لقـد أنسانى ذلك مرور السنين وكل ما اعرفه عنـه أو اتذكره انه غنى موسر من عائلة كريمة عريقة فى الحسب وان املاك العـائلة ومحل اقامتها فى مدينة بنهـا . لذا .. أتيت . . أتيت الى الصديق

ـ حسنا . . وما اسمه . . الذي تتذكره

ـــ اسمه . . لقد كنا نناديه أيام المدرسة (لمعى)

أجابت وقد رقص قلبها فرحا وتهلل وجهها سروراً

ـــ تقول لمعي ؟

ـــ نعم :. ولمـاذا .

ــ لأن هذا لقب عائلتى . وليس فى مدينة بنها من يلقب بهذا سوانا . فلاشك اذاً .

ــ اذاً ماذا ؟؟؟

ــ إن صديقك الذى تبحث عنه . شقيقى

ــ شقيقك ؟

ــ نعم و يسرنى ذلك جداً

ــ بل انى سعيد . . وسعيد جداً

ثم انه ضغط على يدها بشدة وهو يبتسم لهذه الصدفة الغير منتظرة

ــ إنى لا يسعنى إلا ان ارحب بكم بالاصالة عن نفسى و بالنيابة عن اخى فهو غائب فى مصر وربما يأتى بعد يومين أو ثلاثة

ــ آه هذا من سوء حظى . . اذاً . . أنا :

ــ لا شىء ستمكث فى ضيافتنا حتى يعود : ألا يسرك هذا

ــ هذا يجعلنى أشعر بانى تحولت من انسان الى ملاك

ــ آه . هذا مدح كثير ان والدتى ستسر جداً رؤية صديق ولدها

ــ شكراً لكم . آه . عفواً : لقد نسيت ان ثيابى قد تلوثت من الطريق وهذا يجعلنى أقف من نفسى الخجل من مقابلتكم

ــ بالعكس . بالعكس . سوف تستبدلها ما شئت من ثياب أخى وصديقك الذى . . حتى يتسنى لك ان تشترى أخرى

وكان من حسن حظ توفيق ان المسافة كانت قريبة : فقد وصلا الى باب المنزل في وقت قريب فرأى الفتى مظاهر الغنى بادية عليها : ولما دخل الى الردهة العمومية وقع نظره على بعض رسومات بديعة وأثاث جميل ورياش فاخر مما يدل على حسن ذوق اصحاب المنزل فبهره جمال هذه المناظر ونسي ما هو فيه من الجوع ولم ينتبه إلا على صوت فردوس وهو اسم فتاتنا وهي تقول

ـ تعالى ياتوفيق افندي

ـ أتناديني ؟ ؟ ؟

ـ نعم

ثم انها دعته للذهاب الى الحديقة حيث والدتها وعمها وولده فلما وصلا الي المشي الخارجي أقبلت عليهما سيدة متوسطة العمر فصاحت فردوس

ـ لقد أحضرت لك ضيفا يا أماه

ـ مرحباً بالضيف أى كان

ـ انه توفيق افندى صديق اخى محمود

فأشرق وجه السيدة وأقبلت نحو توفيق فمدت له يدها وقالت

ـ أهلا . . يسرني ان أري اصدقاء ولدي تحت سقف بيتي

أجابها توفيق

ـ لى مزيد الشرف ياسيدتى ، وانى اذا نسيت لن أنسى جميل ابنتك لى

اعترضت فردوس وأرادت ان تغير مجرى الحديث كي لا تعذب أذنيها بسماع كلمة اطراء أو عبارة مدح ، قالت

ـ انه لم ير شقيقى منذ أيام المدرسة ومع ذلك ها انت ترين الصداقة فى مكانها بقلبه مما يدل على شدة تعلقه به ، فلقد تجشم أتعاب السفر ، قالت الأم

ـ شكراً ، شكراً ، انه بلا شك سيسر برؤياك

أجابها

ـ سروري أعظم وشرفى كبير

قالت فردوس

ـ بقى فقط يا أماه ، ان نأمري أحد الخدم ان يهيىء غرفة أخى كى يستبدل ثياب السفر ، ولكي يتناول طعام العشاء مع عمى وابن عمى

قالت الأم

ـ لقد نطقت خيراً أيتها الفتاة الكريمة

وبعد ان أطالت الترحيب بتوفيق بينما اختفت فردوس فى

غرف المنزل وبعد برهة وجيزة رأى توفيق أنه يرى في وجه فردوس الفتاة الجميلة وسمع دقات قلبه تنبئه بأن هناك حبا نشأ في قلبه ، فضغط على قلبه بيد مرتعشة وقال

« ويحك أيها الشرير انها شقيقة صديقي الذي آويت الى منزله واكرمت غاية الاكرام »

وهنا تقدم اليه بعض الخدم ودعاه للذهاب الى الحجرة فلما دخلها أرشده الخادم الى موضع الحمام وكل ما يلزم له . . . .

ثم خرج الخادم بعد أن صب له فنجانا من الشاي والابن التهمها توفيق التهاما ، ولما أحس بالحرارة تدب في جسمه نهض متفقدا غرفته وأخذ يتطلع في الحجرة وما تحويه من الرسومات والصور ولم يلبث ان وقع نظره على صورة فوتوغرافية موضوعة فوق رفرف المدفئة وهي تمثل فئة من الشبان فلما اقترب منها وأحدق فيها نظره صعد الدم الى وجهه وخرجت من فمه صيحة ضئيلة

رأي صورته وهو في الثانية عشرة من عمره ورأي عينيه في تلك السن تحدقان فيه . كانت الصورة تمثل احدى عشر لاعبا من لاعبي الكرة أخذت في المدرسة منذ عشرة سنوات وقد كتب تحتها بخط جميل

« الاحدى عشر الأول سنة ١٨٧٩ »

تأثر توفيق لهذه الذكرى فقد رأى صورته منذ عشرة سنوات وهو شاب جميل ممتلىء صحة ونشاطا كفء لمكافحة الأيام المقبلة مستعد للدخول فى ميدان الحياة العملية ليلعب دوره فيها

رأى وجهه تلوح عليه أمارات البراءة رغم أنه يجهل متاعب الحياة كذلك كانت بادية على ذلك الوجه علائم الأمانة والاقتناع بأن فى الحياة عدلا ينعم به أولئك الذين يسيرون فى طريق الاستقامة

ثم أخذ بعد ذلك فى ارتداء الملابس الجديدة التى استحضرها له الخادم وأخذ يقلب فيها وهو يتنهد من حين الى آخر، وبعد برهة وجيزة كان جالسا على مقعد من الجلد الناعم يكاد يخفى جسمه النحيل داخله وقد شعر بالراحة تتسرب الى جسمه شيئاً فشيئاً وأخيراً قام ناهضا . وقال

ـ آه ليت كل هذا لى: ليت كل هذا لى . ما ألذ الغنى ، انه الحياة بأجلى معانيها ، الاغنياء هم الذين يشعرون بالحياة أما الفقراء فلا يشعرون إلا بالموت ، ربى لم خلقت الفقر ؟؟ أتعذب قوما وتسعد آخرين ؟ اللهم انى استغفرك فأنت غفار الذنوب

قال هذا وهو واقف يناجى نفسه أمام مرآة ذات إطار مزين بماء الذهب وأعجب بهيئته وصلح من شعره . وليس بعد ان كان لا يهتم باصلاح شىء من ملابسه ، ولماذا ؟ لانه شعر بغرام

والغرام ذو بطش وسلطان

وعند ذلك دخل عليه الخادم يدعوه الى مائدة الطعام فصار وراءه كمن مسه خبل وعند ما دخل غرفة الطعام كان بها نحو من ستة اشخاص من الفلاحين من بينهم الشيخ متولى عم فردوس وولده مبروك الذى كانت تظهر على محياه علامات الخسة والدناءة فحياهم بأحناء رأسه وبعد ان ردوا عليه تحية كالعادة المتبعة جلس فى المكان المخصص لجلوسه على المائدة ، فقال له الشيخ متولى

ـ يسرنا جدا هذه الزيارة يا حضرة الافندي

أجابه

ـ أشكرك ، كثيرا

ـ ان ابن أخى محمود غائب الآن وسيحضر صباح باكر ان شاء الله

ـ هذا من سوء حظى فكم أنا مشتاق لرؤياه

وهنا تنحنح مبروك وقال مخاطبا نرفيق الذي كان يلتهم صدر دجاجة كأن بينه و بينها خلاف شديد ! !

ـ ألم يكن من المستحسن ان ترسل له خطابا قبل مجيئك

أجابه وقد امتلأ فمه بالطعام

ـ هكذا أرادت الاقدار

قال أحد الحاضرين لتوفيق

ـ وما أخبار مصر

ـ على ما يرام ، الحمد لله

ـ حسناً ولكنى بصفتى رجل الريف أقول ان المرأة فى العاصمة قد وصلت الي درجة مخجلة من التهتك

ـ آسف جدا ياسيدى

ـ انها تريد ان تكون كالافرنجية !!

ـ هناك فرق شاسع بين الافرنكية والمصرية ، فالأولى تتعلم العلوم الى ان تحصل منها على درجة عالية أو درجة محمودة ، أما الثانية فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشورا بسيطة من العلم حتى تستغنى بها عن الاستمرار فى الاستفادة فهي لا تقلد الغربية فى التعلم النافع وانما تقلدها باستماتة فى تعلم البيانو والرقص

ـ هذا عجيب ، هذا مؤلم

أجابه توفيق وهو مستمر فى المضغ

ـ إن الفتاة المصرية لا يهمها من التعلم سوى ان تقرأ الروايات الغرامية وهن فى ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية فيتأثرن بحوادث العشق والهيام وتنطبع فى ذاكرتهن أشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر أمامهن صور تلك الحوادث

كالصور المتحركة فلا تعدم ان تلقى أثرا فى عقولهن اللينة

أجاب أحد الحاضرين

ـ ان الآباء ملومون فى هذه الحالة لعدم مراقبتهم بناتهم فلم لا يأمروهن بقراءة الكتب النافعة و يصادرون منهن أمثال هذه الكتب المبتذلة

ـ أجل ياسيدى الآباء هم المسؤولون وحدهم عن هذا الخطأ الفاحش إذ ماذا تفعل الفتاة وهى فى سن السادسة عشر أو العشرين وقد امتلأ ذهنها بحوادث الغرام وألفاظ الهيام . انها تتمنى ان تسمع مثلها وتكون مرموقة بنفس تلك العين لأن سنها اخصب مراعى ابليس

قال الشيخ متولى

ـ رحم الله أياما كانت فيه الفتاة محجورا عليها لدرجة الحبس

أجاب توفيق

ـ أما الآن فان اطلاق الحرية لهن جعلهن يخالطن الشبان ولذلك قد كثرت حوادث الفتيات المحزنة لأن الفتيات الطائشات لصفاء نيتهن يصدقن كل مدع لهن بالغرام وتساعدهن حريتهن المطلقة على مسايرة الفتيان ثم لا يلبث الرجل ان ينفض من حولها ويتركها بين اليأس والعار وهما أمران أحلاهما مر

وهنا تأوه رجل هرم فى السن وقال

ـ اذاً قد فسدت مصر ، الوطن العزيز ، ألا يوجد طريقة لمنع هذا الخطر

قال فريد

ـ من رأيي ان تمتنع الفتاة من الاختلاط بالشبان وحاشا ان أمس بكلامى هذا شرف الفتيات وانما يجب ان أنبه الى شيء طبيعي . والعاقل من اتعظ بغيره ، اني انصح للامهات ان يراقبوهن مراقبة تخفى عليهن لأن المراقبة إن كانت ظاهرة قد تضع فى نفس الفتاة أنها يجب ان تراقب وانها ضعيفة عن الذود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان وبالا عليها واذلالا لها

ثم اذا أثبتت للوالدين مقدرتها على حسن السير فلا بأس من إباحة الحرية لها فى زيارة صاحباتها

ـ هذا هو الحق يجب ان يحجر على كل فتاة

ـ ليس هذا من الصواب فان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما مضر فكما ان الاولى تسهل سبل الفساد لمن تريدها كذلك الثاني يخلق فى الفتاة ميلا لان ترى كل شيء ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جني أهلها عليها

أجاب مبروك بشيء من التذمر

ـ يا حضرة الافندى ، أى شيء يمكن السير فيه لصالح الفتاة

أجابه

ـ كنت سأقول ذلك ، اعرنى شيئا من صبرك القليل فتعرف

ـ حسنا قل

ـ ان صلاح الفتاة مترتب دائما على تربيتها الأولى فان فسدت فقد يكون قليل من الحرية أفضل من الحجر البات لانه لا ينفع ولا تعدم الفتاة منفذا لاغراضها فتتعلم بذلك السرقة والخداع وقد تكون بعيدة عنهما من قبل . وأفضل طريقة لتربية البنات فى سن العاشرة والثانية عشر يجب ان يريها والدها الصور المتحركة والتمثيل والالعاب المختلفة والحوانيت الكبيرة والمتنزهات والآثار ويركبها السيارات ويريها الحفلات وغير ذلك حتى تلم على قدر الامكان بكل شيء حسن أو عجيب فتتنور من جهة ولا تظل بلهاء ككثير من فتياتنا وحتى تكون امتلأت نفسها من الصغر فلا تجد فيها فراغا فيما بعد لطلب المزيد من المشاهدات فاذا عرضت لها الفسحة فى حياتها المستقبلة فلا بأس بها وان لم تعرض فلا تتأسف كثيراً

قال الشيخ الهرم

ـ هذا جميل وأنا من رأيي بصفتى رجل هرم جرب الزمن ان

اصلاح الفتاة لا يمكن ان يكون إلا بعدم تعليمها فى المدارس كالزمن السالف . . زمن الشرف والعفة . رحم الله هذه الأيام . أيام كنا نسير برؤوس عالية

قال توفيق

ـ ان نظرية عدم تعليم الفتاة نظرية باطلة لا يسمح بها التطور الحالى لأن التربية الحقة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخيفها من سوء الأحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافى يتلوث من أقل الاشياء واذا انكسر فلا يجبر . أما الفاسدة فتميل اذا وجدت مسربا سواء كانت عالمة أو جاهلة وغاية الأمر ان الجاهلة أسرع شططا وأدنى الى ان تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء إلا بعد وقوعها فى سوء مغبته

وهنا نهض الشيخ متولى من المائدة وهو يقول

ـ إن هذا الزمن اصبح زمن كلام لا افعال ، ما الفائدة من هذه المناقشة وها هم الفتيات المصريات أصبحن فى الطرقات والميادين ، (كعروسة مولد النبى)

قال الشيخ الهرم

ـ عليه الصلاه والسلام

فضحك الجميع لذلك ، إلا أن توفيق اسكتهم قوله

ـ حقيقة ان هذا واقع وان الفتاة التى تتبرج وتتأنق مغالية في اظهار محاسنها تريد بذلك ان يعجب بها الخاطبون والخاطبات وهي التى تتأخر دائماً فى الزواج وان تزوجت فبرجل أقل مما كان ينتظر لمثلها وهو عقاب طبيعى للمتبرجات لأن الرجل مهما أعجبه شكل الخليعة وكلامها فهو لا يود ان يقتنيها لنفسه اعتقاداً ان ما أعجبه منها ظاهر لغيره أيضا ولو فطنت الفتيات الى ان أول شرط يشترطه الرجل فى امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهرجة لما تأخرن لحظة عن الاقلاع عما زعمنه قربهن فى أعين الراغبي الزواج وهو فى الحقيقة يبعدهن و ينفر الرجال منهن ، لست بذلك أدعو النساء الى التقشف أو البعد عن الزينة فليس لى ان أحرم ما احل الله ولأن فى الزينة للمرأة بعض السعادة ولزوجها كذلك ولكن غرضى الاعتدال فى الزينة الى عدم الخروج عن المعروف

قال مبروك

ـ (مين يقرأ ومن يسمع)

و بعد ان رفعت المائدة وجيء بالقهوة جلسوا يتسامرون فى مواضيع شتى مما يدل على أن هناك عقولا ناضجة وآراء حسنة عند هؤلاء الفلاحين .

***

عانق الليل النهار وبسط عليه اجنحته السوداء فكان المساء فأصبحت مدينة بنها كقطعة فحم سوداء ولم تلبث طويلا هكذا حتى بدد ذلك الظلام الذي وقف في وسطه توفيق كالغارق في بحار اللانهاية . بدد ذلك الظلام أشعة القمر فقد أخذ يظهر في كبد السماء شيئا فشيئا كالعروس تمشي وسط العذارى في يوم زفافها

نظر توفيق الى القمر فصعدت منه تأوهات حارة ونطق بتلك الكلمة

ـ آه فردوس ان قلبي يخفق لك ، انني جئت للعمل فاذا بي أمام غرام قوي لا أعرف نهايته

ثم انه رفع رأسه الى القمر وقال

« إيه ياسمير العشاق ياءمن تسطر على صفحاته حوادث العشاق أيها القمر ، كثيراً ما رأيتك وكثيراً ما ناجيتك ، فما أحلى نظراتك الطويلة الي تمس الصفحة الخضراء المبسطة مروجا ، فكم قرأت أسراراً مبعثرة بين شجير الاشجار وفي خبايا الصخور

آه أيغضبك ما ننسبه اليك من المعاني الحسية

أتذكر أنت أيام تكون هلالا ، أيام تشرق أنت ساعة غيب أميرتك الشمس في أفق يتوهج ألوانا ويذوب جلالا ؟ ؟

أذاكر أنت كهوف النار وقصور الزبرجد وأعمدة الياقوت التي تشيدها الغيوم اكراما لرحيل ربة الأنوار ؟؟

أذاكر أنت جوف الالوان المدهشة أمام مدينة الاحلام تنشد انغاما لا يسمعها إلا المصورون والمفكرون ! ؟؟

أذاكر أنت قبب اللهب المنصوبة فوق قرص الشمس وسرادق الافق المنفرجة الدامى الذى يجلل موكبها الفياني ؟

أذاكر أنت يوم تكون هلالا رضيعا من نورها ؟

تسير غير منظور فى موكب وداعها فلا تبحث عنك الحواس فى هيجانها ولا تذكرك الارض فى سكونها

لا تسارقك النظر ساعتئذ إلا وريقات مرتعشات على أفنانها ولا يناجيك إلا قلب ذاق طعم الكلوم بالدموع

ينظر اليك ويناجيك لانك صديق لا يؤلم بلسانه ولا يخون بجنانه

أنت زورق بهاء سابح فى أوقيانوس الافق . ها أنا أراك مطلا عليّ تبسم لمن يراك

أيها الهلال الجميل أنت لون الينابيع المترنمة على جواهر الحصى ولون دلال المياه المندفعة نحو البحر مهللة مكبرة

أنت لون الاحلام اذا حاولت ان تكون أفكارا

بل أنت لون التأملات التائهات اذا انقلبت أشعارا

إن نورك ليس إلا نور انعكاس الشمس عليك فهل لون هذه الارض الخضراء آخذ جه له من لطف الارواح التي تعيش فوقها

إن ذكراك في نفسي كلها طرب كئيب لا تأتي به إلا ليالي الألم المملوءة انفعالات عميقة

أنت سعيد وسط هذه النجوم اللامعات حوالك

أليست هذه النجوم هي مشاهير العظماء والبؤساء الذين ذبل ظلامهم في الموت فانقلبوا نجوما تلمع فوقك خالدات

آه أيها القمر ، ان لك احيانا بسمات موجعات . أفي صلاة أنت وابتهال ، أم كذب الفلكيون وكنت أنت جرما لا يعرف الموت بل كنت حياً جريحا

يخيل إلي أن أشعتك ليست إلا عبرات نور تسكبها في دورتك غريبا عن الاكوان ، ثم لا ألبث أن أظن تلك الدموع قطرات ضياء من سعادتك الابدية

ماذا أنت أيها القمر ؟

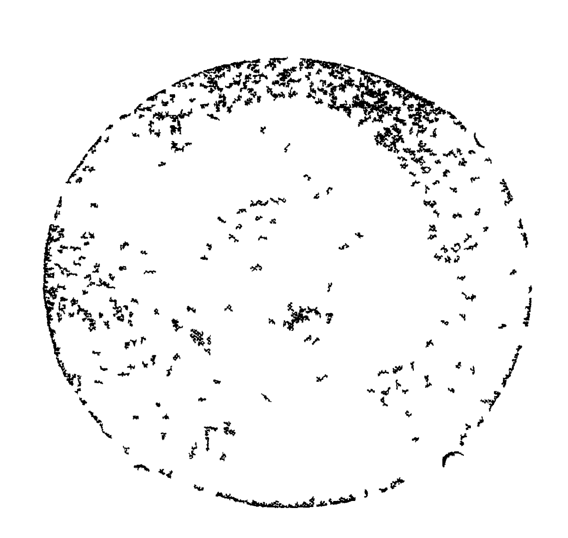
أأنت جرم صغير تتقاذفه جاذبية أجرام كبيرة وهو كالسعادة يتظاهر بالابتسام عن بعد ولا تمسه يد الناظرين في غير عالم الاحلام ؟؟

آه ليتني أعلم

آه ليتني أعلم . . .

ربي أنت أعلم بما خلقت وأبدعت

وهنا عاد توفيق من نافذة غرفته وهو مترجع القلب دامى الجراح وأحسن ما استفاده في يومه انه أكل وشرب جيدا وهاهو ينام على فراش وطيد و يغمض عينيه عن شبح فردوس وهي تواسيه في سيارتها الى المنزل ثم يسترسل في نوم عميق وأحلام جميلة حتى الصباح



الفصل الثانى

ينكر الرجل دينا عليه لآخر ، ينكر حقا هضمه أو فرية أتاها ، ينكر ما عليه من الحقوق والواجبات ، ينكر الحقيقة وينصر الباطل ، ينكر الفضيلة ، ينكر المبادىء ، ينكر الأديان السماوية ، ينكر حتى وجود الاله الخالق ، يستطيع الانسان ان ينكر كل ذلك اذا جنح عن الحق وتمادى فى الضلال ، ولكن هل يستطيع الانسان ان ينكر تأثير الجمال فى نفس رائيه ؟؟؟

للقوة سلطان على الضعيف ، للغاصب سلطان على المغتصب حقه ، للغالب سلطان على المظلوم ، للحاكم سلطان على المحكوم ، للقانون سلطان على المتحضرين ، ولكن هل يمكن ان يضارع نفوذ أى هذه القوات نفوذ الجمال وسلطانه على نفوس المبصرين ؟؟

يخضع الضعيف للقوي مغلوبا على أمره . ويستكين المظلوم للظالم وهو يستمطر عليه لعنات الارض والسما ، ويخضع المحكوم للحاكم قهراً عنه ، ويخضع المتحضر للقوات التى تنفذ القانون لا للقانون ونصوصه ، ولكن هل هكذا الحال فى خضوع المبصر لدولة الجمال ؟؟

للقوى قوته ، وللمغتصب أعوانه ، وللحاكم جيوشه ومدافعه ،

وللقانون حماته وكتائبه ، قوات تمكن الجمبع من أغراضهم وغاياتهم فما الذى للجمال من مثل تلك القوات ؟؟

للجمال تأثير بنفسه فى نفس غيره ، للجمال سلطان سوى ذاته لا بالجيوش وآلات القتل والهلاك ، للجمال استبداد يرضى عنه المغلوب على أمره

للجمال دولة كلها بهاء ورواء

للجمال قانون يخضع له الجميع عن انبعاث اليه واستسلام له ، جار أم عدل

فيا للجمال ، ويا لنا من سلطان الجمال !!!

من هذا الذي يرى آية من آيات الجمال ، ولا يبوء بها صدره ؟

من الذى يرى لمحة من لحظات الجمال ولا ينجذب اليها بعينيه وبالدليل ؟

لا يستهوى النظر غير الكلام ، ولا يثير انتباه الحق إلا الجمال ولا يطمع الناس إلا بالجمال ولا يثنيهم عن الواجب غير الجمال . ولا يبعثهم على الخير أو على الشر إلا الجمال

للجمال تأثير غير محصور فى الناس جميعا بدون حصر فى الشاب . فى الرجل . فى الكهل . فى الشيخ . فى الصبية فى المرأة حتى فى أرذل العمر ، انما يتفاوت مقدار التأثير فى النفوس لا بالذات

لاطيش والرزانة ولا اطراداً مع الخفة والتعقل وانما بالنظر الي تفاوت العقول بالادراك والأبصار بصدق النظر والتقدير .

فالعاقل الناضج اكثر تأثراً من غيره ، والمتعلم المتهذب أعظم خضوعا للحسن من الجاهل المحروم من نعمتى التبصر والابصار

هـذه حقائق أقرها ولا أريد غيرى على الاعتراف بهـا ولـكنى على يقين من أنهـا هي الحقيقة وهي الواقع وهى أعظم اضواء الحقيقة سلطانا واكثرها وضوحا ، أنكرها المـكابرون أم اجتمعوا عليها

فلا تعجبن اذا بعث الجمال بتوفيق ما يجعله يتيقظ من النوم مبكراً جـداً بعد أن قضى ليلته وسط بحار الاحلام بفردوس ، ولكنه لم يلبث طويلا فى فراشه حتى أخـذت عيناه ترحل عن صفحة النوم فنهض وعليه سيماء الملل والتف بعباءة من الحرير زرقاء اللون ثم فتح النافذة المطلة على الحديقة ووقف يستنشق هواء الفجر الجميل

وكان فجرا جميلا هادئا يهب فيه النسيم عليـلا محركا الاغصان فى الحديقة يمازج روائح الياسمين زهر الليمون فيرسل روائحها اليه تلك الروائح التى تؤثر فى النفس أجمل تأثير

وتمثلت أمامه المروج الخضراء كأنها أنسجه من الخز

الاخضر متعرشة علي أسوار غير منظورة فأطل توفيق من النافذة كي يمتع نظره بجمال الطبيعة ولكنه ما كاد يفعل حتى دخل فى يقظة فجائية إذ شاهد بعينيه ما رآه فى الحلم ليلة أمس، فقد رأى أوراق الشجر تمايل بخطوات النسيم الفجر به بعد ما انقشع الظلام عن زهوه الطبيعي والفلاحين فى ذهابهم الى حقولهم تبعث على تسريح الطرف وانشراح الصدر، والارض المكسوة باللون اللازوردى تحجبه التموجات الفضية الشفافة المضاربة فيها خيوط الشمس الذهبية، والعصافير تتنقل من جذع الى آخر فى الحديقه مزقزقة مغردة تداعب بعضها بعضا، وصوت المؤذن وهو يدعو المؤمنين الى الصلاة يلبس مظاهر الابتهاج خشوعا

فتنبهت روحه الداخلية، فلمت مبتهجة متحمسة دعوة الشمس التى تحرك أسمي الآمال فى أذهان البشر وتلمس أجنحة الاحلام المتواهية بأكسير الحياة

رأي توفيق فردوس واقفة وسط الحديقة كالشمس على قبب المآذن وكأن وجهها كون من النور وعينيها من ازرقاق السماء سماء الشرق، وجدائل شعرها المسترسل على كتفيها العاريتين من ذهب الشفق المحاط بالغيوم البيضاء

حينذاك رمى توفيق بالعباءة على مقعد طويل بالغرفة وارتدي

ملابسه بسرعة ثم هرول الى الحديقة مطلقا لساقيه الرياح حتى وجد نفسه بين الاشجار ، يسير متعمدا طريق الشجرة الواقفة تحت غصونها فردوس ، فلما اقترب منها أخذ يقطف من الزهور ما صادفه دون ان ينظر ما يفعل كي لا تلحظ عليه فردوس انه معتمدا مقابلتها

بعد قليل شعرت فردوس بقدومه فأسدلت القناع الذى كانت متشحة به ثم ابتسمت اليه محيية اياه تحية الصباح إذ أنها لم تجد من الوقت متسع لان تتوارى عن ناظره فقالت وقد أحنت رأسها الى الامام قليلا

ـ صباح الخير ، سيدى

أجابها بلسان يكاد لا يتحرك فى فمه

ـ صباح الخير . . سيدتى ، أرجو ان لا اكون ازعجتك فى هذه النزهة الجميلة

ـ قالت

ـ بالعكس ، بالعكس ، بل انني أتمنى ان تكون قضيت ليلة سعيدة

ـ كيف لا ، أنا تحت ظلال عطفكم ، و بين حنايا كرمكم

ـ أري أنك تغالى كثيرا فى قولك هذا ، ورغم هذا أراك مبكرا مما يدل على أنك شغوف بالتنزه صباحا

ـ هو كذلك يا حضرة الآنسة . أنني احب الهواء النقى ، هواء الفجر قبل ان يتلوث بأنفاس الناس ، وترتاح نفسي برؤية الغصون تعانق بعضها بعضا ، وتطرب أذني بسماع تغريد الطيور وتصديح البلابل

ـ كأني بك مندمجا في الطبيعة

ـ إنني ابن الطبيعة فلا يهدأ لي بال إلا اذا كنت بين احضانها

وهنا اطرقت فردوس بنظرها الى الارض وأخذت تداعب بقدمها زهرة ملقاة على العشب وقالت

ـ الطبيعة . ! ! الطبيعة . ! ! إنها كل شيء في العالم إنها سر الوجود ، ودليل التوحيد

ـ بل قولى أنها ملجأ البؤساء ومهبط وحي أشعار فيها يتفسون واليها يبكون وعندها يضحكون من العالم

ثم انه تنهد تنهدا عميقا وأتم الحديث

آه .. يا آنسه : ما أبدع المرء وهو يسير متنقلا بين احضانها وبجانبه

وهنا شعر بأن لسانه تعلثم فلم يستطع الكلام فطأطأ برأسه خجلا وخشى ان يكون حرك في نفسها عوامل داخلية فابتدرته فردوس بالسؤال

ـ ماذا بجانبه ؟ ؟ ؟

ـ آه عفوا . . إنك تجدين الحب لا يسكن إلا ربوع الطبيعة

ـ هذا حقيقى

ـ اذاً فما أبدع المرء أن ينقل خطواته ويجاذبه من ملكت قلبه، يسيران مأخوذين بسحر الغرام فيشم من أنفاسها عبيراً كالند يخيل اليه أنه عبير جنة الخلد ، أتدرين ياسيدتى قوة الحب على النفوس

ـ نعم لأنى أحب والدتي وشقيقى ، وأنا سعيده بهما كل السعادة ولا شك أنك سعيد بمن تحب

ـ وافرحتاه إن كان الأمر كما تقولين

ـ وهل فى ذلك شك فأنت شاب جميل متعلم كما ظهر لى بالأمس فقد أتيح لى أن أسمع نظرياتك فى حياة المرأة المصرية أثناء العشاء

ـ أحقيقة ، وأين كنت ؟؟؟

ـ كنت فى الغرفة المجاورة

ـ أنك تخجليننى ، والحق يقال

ـ ولماذا الخجل ، لقد ألقيت عليهم درساً أخلاقياً وافياً من جميع الوجوه . فأنت والحال هذه لعلى جانب عظيم من المعرفة فلم لاتكون سعيد مع من تهواك

ـ آه ولكني لا أستطيع ان أذكر هذا الغرام على لسانى

ـ لا شك أنها قاسية جداً . وأتمنى من صميم قلبي ان يوفقكما الله ويجمع شملكما

ثم انها أظهرت رغبتها فى عدم الخوض فى هـذا الحديث . المملوء بلهب النار . فقالت متممة حديثها

ـ إن أخي محمود سيأتى اليوم ولا شك أنه سيسر برؤياك

ـ لا شك عندى فى كرم أخلاقه ووفاءه

ـ كما انني أود أن يقوم أخي بكل ما تطلبه منه

قالت ذلك وتحركت من مكانها كأنها غصن بان يتمايل مع نسيم الفجر فنظر اليها توفيق نظرة وشعر بأن هنالك قوة خفية تدفعه الى الكلام معها حتى لا تغيب تلك الحسناء عن بصره . فقال

ـ شكراً لك . أنني لا أطلب منه سوى أن يجد لى عملا أتقوت منه

التفتت اليه فردوس وعادت خطوتين الى الوراء حتى حاذته وقالت

كيف ؟ .. أأنت بلا عمل

ـ نعم . انني بلا عمل

ـ ألم تشتغل قط .

ـ بلى ياسيدتى فقد كنت موظفا فى احدى مصالح الحكومة أتقاضى خمسة عشر جنيها شهريا

ـ هذا جميل وبعد

ـ وبعد قامت البلاد قومتها المباركة تطالب بحقوقها المغتصبة ورأينا دماء الابطال تسيل فى الطرقات ورصاص الأعداء يمزق أحشاء أبناء الوطن .. وهنا وصل الى اعماق قلبي صوت يقول . كيف تجلسون هنا وراء مكاتبكم وبين جدران الحوائط بينما النشأ الصغير يعرض نفسه للهلاك فى سبيل مصر

ـ آه . . وماذا فعلت أيها التعس

ـ هنا أخذتنى ثورة جنون الوطنية الصادقة ودفعتني الغيرة على مصالح بلادي وجذبتنى اليها دماء الشهداء فقمت مناديا فى مصلحتى بوجوب الاضراب عن العمل حتى تنال البلاد حقوقها وبعد جهد جهيد تمكنت من بث الروح فيهم وهكذا تم الاضراب . وعند ما عدنا الى أعمالنا بعد أن أجيبت بعض مطالب البلاد وفتح باب المفاوضات . وجدت نفسي مفصولا عن وظيفتى بغير سبب سوي حبي لبلادى فتركت العمل غير آسف على شيء أسفي على بلاد يضيع الحق فيها

ـ يا لك من مسكين . . ذهبت ضحية الواجب

وبعد ذلك همت على وجهي طارقا أبواب العمل الحر . فسدت فى وجهي جميع الابواب فحركة التجارة مشلولة ودولاب العمل واقف.

حتى اذا ما نفذ آخر درهم معي قاسيت من ألم الجوع ما قاسيت وكثيرا ما توسدت الثرى والتحفت بالأجواء وداهمني البؤس بجميع قواته فتخلى عني الأهل والأصدقاء قائلين.. (اذهب فأنت مجنون) أمجنون من ينادي بحقوق بلاده ؟؟

وأخيراً أيها المسكين !!

ـ أخيراً رميت آخر سهم معي وهو أني أقصد صديقي محمود لمى لما أعلمه فيه من كرم الاخلاق خصوصا وانه كان يفضلني ويخصني بمحبته دون بقية الطلبة . فقمت من القاهرة في فجر اليوم الذي عزمت فيه السفر وسرت على قدمي طول يومي دون طعام حتى إذا ما انهكني التعب واستولى عليّ الضعف وقعت على الارض ولا أدري بعد ذلك شيئا على أني وجدت نفسي بين يديك

ما كاد توفيق ينتهي من حكايته حتى ظهرت علامات الألم الممزوج بالشفقة على وجه فردوس فازداد جمالا فوق جماله وبهاء فوق بهائه فقالت له وهي تضغط على يده تحت جلال الاحترام

ـ هذا يؤلمني جداً . ان شابا مثلك يجب أن يكون سعيداً فما خلقت السعادة إلا للشباب

ـ ليست السعادة فوق أرض مصر . ولكنها في بطونها

ـ إني أذكر ذلك . . أذكر ان إحدى المدرسات الفرنسيات

حينما كنت بالمدرسة قالت لنا أثناء حديث . . ان السعادة لا يمكن أن تسكن قلب المصرى

ـــ هذا حق . . هذا حق

لاحظت فردوس ان دمعتين تدحرجتا على وجنتى توفيق الذى حاول ان يخفيهما بيديه المرتعشتين فقالت له والانفعال متملكها

ـــ البكاء عار ـ البكاء عار

ـــ أننى لا أبكي . انما هو الألم اذا تراكم بعضه فوق بعض أنقلب الى عبرات

ـــ ولكن يجب ان تكون رجلا . وتقف موقف الجندى الشجاع أمام جيوش الزمن وإلا هزمتك تلك الجيوش ووقعت قتيلا تحت سنابك خيلها

ـــ أننى رجل وشجاع . . وأرجو معذره فقد سببت لك فى هذا الشعور المحزن الذى أقرأة على صفحات وجهك الغض

ـــ لا يهمك أمرى . . أريد ان أراك شاب ضحوك منذ الآن أتعدنى

ـــ لك ذلك

ـ وعليك فأنا أتعهد لك بأننى سأكفيك مؤونة التحدث بهذه القصة لأخى . وأقول لك من الآن أنك لا تفارق هذ

المنزل ولكن من العمل فى املاكنا المتسعة مجالا واسعا

فأمسك توفيق يدها وهو بين عاملين قويين عامل الشكر على صنيعها وعامل الغرام تحت تأثير جمالها وقال

— بأى لسان أشكرك

— بلسان لا ينطق بشيء . إذ لا شكر على واجب فكلانا أبناء مصر . كلنا أهل وأقارب

وحينئذ سمعا صوت الخادم يدعوهما الى طعام الافطار . فسار توفيق معه الى غرفة طعام الضيوف . وسارت فردوس الي غرفتها فى الحرم

*
* *

هام توفيق صباح يومه هذا وسط المروج يبث الاشجار غرامه والهواء العليل هيامه متنقلا من مكان الى آخر . يحادث هذا وذاك حتى دخل على قلبه السرور وارتاحت نفسه بالعيشة مع هؤلاء القوم السذج الذين يحملون فى صدورهم الوفاء والاخلاص

وعاد منذ الظهيرة الى المنزل فوجد صديقه محمود واقفا أمام الباب بانتظاره باسطا له ذراعيه مقبلا إياه بفرح لا يوصف إذ قال

— مرحبا بالصديق العزيز . مرحبا بأعز صديق . صديق التلمذة

أجابه توفيق

ـ آه ياصديقي العزيز . . لقد كان بودى ان أجيء اليك زائراً لا طالبا

قال له محمود بشيء من التذمر والتبرم

ـ لا تقل هذا بالله . فأنت منذ الآن مفتش مزروعاتنا . ولك خمسة عشر جنيها شهريا

فحاول توفيق ان يتكلم فمنعه محمود وأتم حديثه

لقد علمت كل شيء فلا تبتئس ولا تحزن فما خلقت الصداقة إلا للشدائد . فهاك يدى اضعها فى يدك نجدد عهد الاخوة . عهد الوفاء والاخلاص . والأمانة

تصافحا الصديقان وتعانقا طويلا

فهنيئا لك محمود بصديقك

وهنيئا لك توفيق بصديقك

ولتحيا الصداقة

***

وبعد تناول طعام الغذاء مع محمود وعمه الشيخ متولى وابنه مبروك الذى كان يرمق توفيق بنظرات الخبث والدهاء والغيرة التى لايعلم لها سبب . . ذهب كل للاستراحة فاختار توفيق الجلوس فى الحديقة

فى المكان المقدس الذى قابل فيه فردوس فى فجر اليوم :
وعند ما استقر به الجلوس رفع رأسه الى السماء وأغمض عينيه وتمتم قائلا

« فردوس أنت نفحة من روح الله . وقوة فى كيان الوجود »
« الكون خلق لأجلك . وقوات العناصر خدامك »
— إذا ابتسمت ملأت الارض خيرات وأزهار الشتاء وحلت
لتمتطى الرياح وتدرس الغيوم . ترسلين صوتك فى الأثير فتنقله
الرياح الى أعماق القلوب

أرى ابتسامة الطفل على شفتيك . والنور الالهى فى عينيك
إن قلبك اكبر من قلوب البشر
ونفسك أعمق من الاعماق
أنت رقيقة كالنسيم عواطفه
وصلبة كالفولاذ إرادته

فى المساء عند ما أنطرح على فراشي أذكر يديك اللطيفتين
الناعمتين فى الليل لما تمتزج أفكارى بأبخرة الاحلام اشعر بقدميك
الجميلتين ينقران حول سريرى

فيا أيتها المتمسكة بأذيال النجوم ها أنا أذكر فى أوقات لم
تتثبت قدمي على السير فى طريق حياة الرزق

فردوس ها أنا أحن اليك . . . فتعالى . .

يا حياة نفسى

يا مصباح قلبي

يا دليل أفكارى

يا كلى

يا أملى

فردوس . . . فردوس



الفصل الثالث

الميسر خلة ذميمة يتعشقها عبيدها ويعبدها عاشقوها . هي عادة قد تفشت بين طبقات الأمة وشغلت الطبقات العالية والمتوسطة بصورة عجيبة . شغلتهم وتمسكوا بها حتى أصبحوا يتباهون بالتبذير والاستخفاف بالخسائر ويفاخرون بعدم اكتراثهم لجسامة المبلغ الذي خسروه كأن ذلك فخرا وشرفا أثيلا .

لم يكتف المتفرنجون والمتفرنجات باتباع أميالهم فقط بل انهم وصموا من لم يقامر وصمة عار ليست معروفة الا عندهم اذ ان العار لم يكن يوما بالامتناع عن المقامرة لكن أمثال هؤلاء يستندون الى أن الامتناع عن المقامرة هو عن بخل والبخل عار

لقد أمسى و يا للهول افتخار الطبقات العالية والتي هي بين العالية والمتوسطة كأن المقامرة شرط لازم للحياة والشرف والجاه على ما في هذا من العيوب والأخطار والعواقب الوخيمة

موائد القمار . . ! يا لك من موائد جهنمية . يا لك من موائد صبغت أطرافك دماء المنتحرين وغير وجهك غبار البيوت المتهدمة

ومع ذلك فأنت باقية ثابتة تهزئين باللاعبين وتخفين ماتضمرين ترقبين عن ثمة وفواجع الميسر بغطائك الأخضر تسترين !

موائد القمار يمن تتزينين بحلة ربيعية اللون زاهية رمز الحياة والنمو . اخلعي هذا الرمز عنك فانك ترمزين به غير ما أنت عليه إخلعيه وارتدي حلة سوداء فان السواد لك خير رمز للحزن والتأثر ان كنت ممن يحزنون ويتأثرون

أنى لك أن تسمعي تنهدات الخاسر وتحسرات البائس وليس لك أذان فتسمعين ؟

أنى لك أن ترى اكفهرار وجه المغلوب في ميدانك واصفرار وجه الشاحب من السهر والسهد وليس لك عينان فترين؟

أنى لك أن تشعري بثقل وطئة المعارك المشتبكة على ظهرك الأخضر وليس لك حاسة عصبية تشعرك بما تؤلم وتبكي ؟

أنى لك أن تدركي هول ما تجرينه على الإنسان من الويلات والمصائب . من الهموم والاكدار وليس لك إدراك فتدركين ؟

أنى لك ان تفهمي عظم جريمتك وأنت أنت التي تقضين على الأمل وتحيين اليأس والقنوط . أنت الذي تظلمين الحياة بعد نورها وتكمديها بعد زهوها

أنت تصمين آذان الرجل عن تضرعات أبنائه وتزرعين

بذور البغضاء فى قلب الزوج لزوجه . أنت تقضين على العواطف الشريفة . تقضين على الآباء وتسهلين للعاقل المذلة وارتكاب الجريمة . . تسهلين له السرقة . القتل . وأحيانا المتاجرة بالعرض

أنى لك ان تفهمى كل ذلك وليس لك عقل به تفهمين ؟

فكم من غني فقد ثروته عليك يا ذات الرداء الأخضر ؟ كم من سعادة ختمت عليها طوابع قساوتك وتمثيلك بعاشقيك أشر تمثيل ؟

كم من شاب قضى فى زهرة العمر فراراً من عار الأفلاس . فراراً من السجن . فراراً من تأنيب الضمير . فراراً من توبيخ العقل . قضى تاركا خطيبته نادبة سوء حظها وانقطاع الأمل ! !

وكم من أرملة ضمت أطفالها باكية العين منخفضة الجبين وهى ساقطة من أوج عزها إلى الهوة التى ألقاها فيها زوجها بطريق المقامرة

ما أكثر الثروات الطائلة التى تداعت أركانها وضاعت فى ميدانك الواسع وكم من خاسر عظمت عليه خسارته فجن . وكم من شريف استكبر الاستعطاء بعد عز فبغض الحياة وأحب الموت ونسى كل شيء متمنياً لو لم يولد . وكم من شهم رأى نفسه مديوناً للغير وقد خسر ما يستطيع به الوفاء فدفع دينه بدل الذهب دما وخلد بعد موته بدل الشرف وطيب السمعة عار المقامر المنتحر

يا أيتها الموائد الخضراء لو كان لك عواطف وآذان وعينان وادراك وفهم وأعصاب تشعرين بها لكنت تحجبين آثارك وتحطمين من نفسك خجلا وتتفكك أوصالك زعراً ورهبة من ان تبسطي ظهرك ميدانا ثابتا للمقامرين والمقامرات خادمة الميسر . هادمة القصور . جارحة السعادة . مقصية الهناء ! ! !

ألقمار . . هذا هو الداء العياء الذي لا يرجى منه شفاء وأن تمكن من انسان لايزايله حتى الفناء . يفتك بالقلوب فيميت عواطفها وينقب الجيوب فيبتز دراهمها ويستحوز على العقول فيكبلها بسلاسل الاوهام ويضعف الاجسام فيغل الأيدى عن الاعمال النافعة الضرورية . ويصم الآذان عن استماع نداء الاطفال والاحداث جوعا وعريا . .

هذا الذي ابتكره الانسان لتسلية نفسه فما عتم أن صار عادة تمكنت منه وأمست شغله الشاغل وعمله المستديم فبئس العادة وبئس التسلية وبئس العمل

هذا هو القمار وقانا الله من أخطاره والذى كان سببا فى ضياع ثروة الشيخ متولى حتى أصبح لايمتلك شيئاً وتراكمت عليه الديون فهو مشرف على الافلاس مفتضح أمره لو لم تتداركه عناية الله بنجاح تلك الخطه التى دبرها وهى ان يزوج ولده مبروك بابنة أخيه فردوس حتى يستولى على ايراد ممتلكاتها الواسعة ويسد بذلك

الثغره" التى فتحتها مائده" الإثمار

وكان ذلك اليوم الذى جلس فيه الشيخ مبروك مفكرا من أيام الصيف وقد رعت الغزالة روض سماء صافية ونشرت أشعتها العسجدية على مهاد ذياك الوادى فى ظهيرة" ذلك اليوم وكان من أيام حش الكلا وقد رجعت الفعلة بعد ساعة الفراغ لاشغالها

وكان الشيخ متولى مكبا على صدره كالمنكوب يمشى القهقرى فى الحجره" بهزه" وقلق وكان له أن يري من نافذته المفتوحة ثيران ابن أخيه وشقيقته مقطورة الي عجلات ومناجلة لامعة ضاحكة للشمس بينما كان الفعلة قابضين على مذار طويل ينثرن بها العشب المحشوش تحت اشراف توفيق افندى الذي مضى فى هذه الخدمة بالبلد ستة شهور كان فيها موضع اعجاب صديقه محمود

ولكن الظاهر أن تلك المشاهد الطبيعية البديعة التى كانت تستلفت نظره وعجبه فيما سلف لم تكن اليوم سوى غريبة عنه لا يلقى عليها بصرا وكان فكره مضطربا بقلق محض رغما عما عقد عليه النية من البقاء فى حالة السكون ليوم يأتى فيه الفرج عند ربه وهو رحيم رؤوف . ولكنه ما كان ليقوى على حبس قلبه عن الفيضان ونفسه عن الهيجان فسطع الشرر من عينيه والتهب وجهه غضبا وأخذ برعشة عصبية محركة وحرك من تحت رأسه المرتجف يديه المنقبضتين وهذر وتذمر بشفتين منكمشتين

وإذ سمع وقع أقدام وثب الي الباب فوجد نبويه ابنته الكبرى تبادرها بالسؤال

— ماذا فعلت ؟؟

— لم نفز بطائل

— أرفضت ؟

— نعم ...

— لعلك لم تستطيعى أن تقنعيها

— بالعكس لقد فعلت ما لم تستطع عليه أي مخلوقة .. نقلت لها ان مبروك يحبك يا فردوس حبا جما وهو هائم بك هياماً . وهو لم يخرج عن كونه ابن عمك . فأنت منه وهو منك . فأجابتني بازدراء قائلة ... « إنه قروى ساذج غير متعلم وأنا لا يروق لى الزواج منه . فخير له ان لا يفكر فى المستحيلات »

— المستحيلات ..؟ سوف ترى .. والنتيجة ألا يوجد طريق اليها

— طريق واحد ..

— وما هو ؟

— هو أن يذهب مبروك اليها بنفسه ويكاشفها بالأمر . فربما تصل توسلاته الى قلبها فيتفتح له

— إن مبروك ليس بطلق اللسان حتى يستميل اليه مثل

هذه الفتاة المتعلمة

- التجربة ليست مجربة . ولكنى مع هذا أملى ضعيف جداً فقد لاحظت عينها أثناء الحديث أنها تلهج باسم شخص تذكر غزارة علمه واتساع معرفته

ـ آه . . . أظننى عرفته . . أليس هو توفيق ؟

— أجل توفيق . ان عينيها تنطق بلسان فصيح بأنها تميل اليه كل الميل

— هذا البائس المسكين الذى جاء الينا هربا من الجوع . . أصبح اليوم وله منها هذه الحظوة . . . هذا محال . . . هذا لا يمكن ان يتم . . ربي ان الخراب والدمار على أبواب منزلى فلا ينقذه إلا إذا تزوجت زدبس ولدى مبروك

— لا تيأس ياولدى فباب الأمل ما زال مفتوحا . أرسل مبروكا اليها وأنا أذهب الى والدتها وأقنعها بضرورة هذا الزواج . فعسى أن يهيء لنا من أمرنا رشدا

ـ حسنا . وأنا أيضا سأذهب الى شقيقها محمود وهو كما تعرفين طيب القلب وان شاء الله تعالى سأجله يرغمها على ذلك

ـ ولا تنس أن تقنعه بوجوب إبعاد توفيق عن البلد وإلا فسد كل شيء إذ أن نجاحنا يتوقف على ابعاده

ـ حسنا . . سأفعل . . وهو سيبتعد عنها على كلتا الحالتين

أرضي محمودٌ أم لم يرضي

ـ وخرجا الاثنان كل الى قضاء ما اتفقا عليه بعد ان قابل الشيخ متولى ولده مبروك وأرسله الى فردوس فطار اليهـا الأخير على جناح السرعة وهو يردد على لسانه الكلمات التي يجب ان يقولها لفردوس فقد كان هائما بحبها ولعا بها الى حد الجنون . ولكنه ككل قروى لا يستطيع أن يعبر عما بقلبه إلا بعبراته ليس إلا

وقف مبروك أمام فردوس فتمثلت أمام عينيه أنهـا ملاك لا غرو فقد كانت رشيقة القوام ناصعة البشرة ملأى من ماء الحياة يسفر وجهها عن نور يكاد يكسف ضياء الشمس ولم يكن فى تلك النواحى إبنة تجسر على منازعتها تاج الجمال وصولجان اللطف ولو وقف على بعض أوصافها شاعر لم يتوقف عن تسميتها بجارية النهر أو بحورية الوادي ولو رمقها بمؤخر عينيه لقال

كما اشتهت خلقت حتى إذا اعتدلت

في قالب الحسن لا طول ولا قصر

كأنهـا أفرغت من ماء لؤلؤة

في كل جارحة من حسنها قمر

لها جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر اسود جميل وحاجبان كأنهما قوسان تقوسا عن مثل عين ظبية بينهما أنف كحد السيف الصارم حفت به وجنتان كالأرجوان شف فى وجهها فم كالخاتم

لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر كأنهما الدر تقلب فيه لسان تلقى في شفتان حمراوان تحلبان ريقاً كالشهد ورقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان رقيق قصبهما لين وفي صدرها ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها . وظهر كالجدول ينتهي الى خصر لولا رحمة الله لانبتر . لها كفل يقعدها إذا نهضت وينهضها إذا قعدت

وقف مبروك صامتاً أمامها وهو يرمقها بنظرة غير اعتيادية مأخوذ بسحر جمالها . أما فردوس فالتفتت اليه مرات عديدة وهي منهمكة في تطريز قطعة من القماش ورأته وهو يحدق النظر فيها فأدركت الغرض من مجيئه في هذه الساعة بعد خروج شقيقته نبويه من عندها خائبة فبادرته فردوس قائلة

— لم تلحظني بمؤخر طرفك يا عزيزي الصغير ؟

فأجابها بعد ان تظاهر بالابتسام

— أنظر اليك كعادتي يا حبيبتي

فأحنت رأسها بدلال وقالت

— هذا كذب فأنت لا تنظر إلي الآن كعادتك بل أني أرى في لحظك شيئاً لا أقدر على وصفه

— هل ترين في نظري ما يدل على نقصان في الحب

ثم انه اقترب منها فقالت له

ـــ أي حب تتكلم . . أهناك حب ؟؟

وكانت فردوس قد أخذتها ثورة الغضب من هـذا التطفل فأظهرت من الغضب ما أظهرت ولـكن هذا الغضب لم يؤثر فى مبروك فاقترب منها وجلس بجانبها فرغبت ان تنهض من مكانها وتبارح الغرفة ولـكنه قبض على ذراعها بشده وأوقفها عن الخروج وقال بصوت قاس

ـــ علينا أن نتحادث برهة يا ابنة عمى

ـ فأجابته بارتعاش وخوف

ـ أما أنا فما عندى ما أحادثك به

ـ إذا لم يكن عندك ماتحادثيني به فأتكلم أنا وحدى

ـ لا . لا . . لا أريد ان أصغى اليك وليس لك ان تخاطبنى بحرف واحد

ثم عالجت ان تخرج من الغرفه ثانية فمنعها وقال بصوت وحشي

ـ قلت لك أن عندى ما أحادثك به فعليك أن تصغى لـكلامي

أجابته بغضب

ـ قل ما شئت

ـ فردوس يا حياتى هدئي من غضبك . . ألا تعلمين أننى أحبك حبا أذاب مني الفؤاد وأحرق مني الـكبد

فأجابته بغلظة

ـ تصرفك هذا لا يدل على حبك

ـ لو لم أكن لك عاشقا لما جاءت شقيقتى اليك اليوم تطلبك عروسا لى . . . أنا ابن عمك . . أحق الناس بالتمتع بك

فحركت فردوس منكبيها علامة الاشمئزاز . . . فقال مبروك

ـ لقد أهنتنى أكبر اهانه برفضك اياى زوجا

ـ لقد تصورت فى الرفض إهانة فأخطأت فأنت الذى قد أهنت نفسك بهذا التصور . . ولكن اعلم أني لا أريدك مهما كنت لأنى لا أشعر بأى عاطفة نحوك، اللهم إلا عاطفة الأخوه"

فاصفر وجه مبروك واصطكت أسنانه وتقطب حاجباه فقالت فردوس

ـ وآخر كلمة أقولها لك أنى لم ولن أتزوج بك

فاجابها بهزء وسخرية

ـ نعم لم ولن تتزوجينى لأنك عاشقة تجتمعين بعشيقك كل يوم فى الفجر تحت أشجار الحديقة . . فقد رأيتك بعينى مع هذا المتسول . . أليس كذلك ؟ . .

فارتجفت أعضاء فردوس وقالت

ـ وما الذى تريده من ذلك التسفل

ـ أنت تعلمين ما أريد أن أقول . . قد كنت أقل عتوا

وتكبراً وعجرفة لما كنت تتحادثين معه تحت الشجر . هذا ما رأيته بعيني وما سأبلغه إلى أخيك .. ولكن فليأخذ الحذر لنفسه مني هذا الشقي الخليع

قال هذا بصوت مملوء بالتهديد ثم تتابع في قذف كلماته فقال

ـ أنظري يا فردوس فأني أحبك بهيجان وولوع وجنون لا أعرف بأي قوة وحاسة أحبك وأعشقك .. فأني غيور . فاذا أمكنك أن تحبي غيري لا أقوى على ضبط نفسي ولا أكفل حياة ذلك المحبوب منك المبغوض مني . فاسمعي إليّ . لا أريد أن اخبرك عن محبتي ولكني أقسم لك ايمانا مغلظة بأني إذا ما تمكنت من أن أكون عروسا لك فانا لا أدعك تكوني عروسا لغيري

فأجابته فردوس بحماسة

ـ مجنون أنت يا هذا !!!

ثم ألقت عليه نظراً تطاير منه الشرر فقال مبروك بغلظة قروية

ـ قد حذرتك فتدبري الأمر . : أما زواجي وأما موته

ـ مضحك ما تقول أيها المختل الشعور . يظن من يسمعك تقول هذه الكلمات أن لك عليّ سلطانا

ـ آه ان سموك وترفعك وكلماتك العالية لا ترهبني ولا تخيفني!

فقرغت جعبة الصبر من الفتاة وقالت

ـ أجيب على تهديداتك الصبيانية وعلى جنونك الظاهر

بكلمتين « أنك رجل شرير »

ـ هذا خطأ

ـ قد كنت فى القديم أشعر باحترام لك وحب عائلي لأنك ابن عمى وأما اليوم وفى هذه الساعة وقد نزعت عنك برقع الجباء ولبثت أثواب اللصوص القتلة فانى أشعر من نحوك ببغض ونفور واشمئزاز فأنا اكرهك . أبغضك . ألعنك

ثم نهضت وألقت عليه نظرة تهكم فنهض الآخر ولمعت عيناه ببريق مشوم وقال

ـ أنت اليوم لا تعقلين . ألا تدرين أن الحب الشديد يتغير من ساعة الى أخري الى بغض قاتل

قال هذا وألقي عليها نظراً كأنه باشق مدّ جناحيه ليخطف عصفوراً فارتعدت فرائص فردوس وأحجمت الى الوراء خطوات ثم أنها أسرعت الخطي نحو الباب وهو يقول لها

ـ سوف أنتقم منه شر انتقام وأنكّل بكل من يقف فى سبيلى !!

وهنا لا يستطيع القلم أن يصف بأي احتقار وازدراء سمعت فردوس هذه الكلمات التهديدية من ابن عمها . . . الذى تركته فى الغرفة كشعلة من نار . . وبعد أن خرجت رفع يديه الى السماء وقال

ـ ويل لمن يقف فى سبيل الحب فلأسلكن معه كل طريق شيطانى حتى أنال ما أريد . . . أجل لانى أحبها حبا ملا هذا

القلب المستعر بنارها فسيره وفق ما يشاء ويريد أحب حتى الجريمة والدم وأقدم على كل شيء في سبيل ذلك الحب

فالحب يخلق من الحلم حماقة ومن الوداعة شراسة والحب القوى هو الذي يغير الطبيعة بأسرها .. ولى من الحيل جيوش جرارة

قال هـذا وخرج مسرعا هائما على وجهه فصادف والده الشيخ متولى وهو جالس بجانب ناعورة منتظراً ابن أخيه محمود لمحادثته في أمر الزواج فابتدره مبروك بالقول

ـ يجب أن يسافر هذا الوغد توفيق فقد ملك قلبها . وإلا قتلته بيدى فرفع الشيخ رأسه فهاله ما رآه على وجـه ولده من الأصفرار والارتجاف وقال

ـ ألم تفلح ؟؟

ـ إنها تحبه .. وهـذا عار .. لا نحتمله .. أنها وصمة عار في جبهاتنا لا تمحى الى الأبد

ـ ولـكن من أدراك أنها تحبه ؟

ـ لم يعد في الأمر شك فقد رأيته بعيني معها في الحديقة عند الفجر بينما كنت أؤدى فريضة الصلاة وكتمت ذلك عنك إذ أن هناك شكا ولقد سألت زيدان الخادم فاخبرني أنهما يتقابلان كل يوم هكذا ... فلا بد وأن يكون في الأمر غرام

ـ أو يعلم محمود بذلك ؟

ـ سألت زيدان عن ذلك فقال انه لا يظن أن سيده محمود يرضى بذلك . . . أبرقت أسارير وجه الرجل وصاح

ـ لقد خدمتنا الظروف.. أجل لقد وجدنا وسيلة لبعده عن البلد

ـ وما هى يا أبتى . قل بالله . . . إن قلبى يذوب ذوبانا

ـ سوف ترى وتسمع وما عليك إلا ان تقرر ذلك أمام محمود وسوف يحضر حالا . فقد أرسلت له بأننى فى انتظاره

ثم ان الشيخ متولى نادى على أحد المزارعين وأمره بأن يذهب و ينادى زيدان من منزل محمود

* * *

قليلا من الزمن كان محموداً يخلع قدمه من ركاب جواده الأدهم ووقف امام عمه وابنه مبروك قائلا

ـ السلام عليك يا عماه . . . كيف حالك يا مبروك

اجابه الشيخ متولى

ـ بخير والحمد لله.. لولا ان هناك أمورا هامة تهدد كيان العائلة

ـ معاذ الله يا عماه . . . وأى امور تعنى ؟

قال هذا وأخذ مجلسه بجانب عمه فتنحنح مبروك والتفت

الي محمود بوجه ممتقع وشفتين مرتعشتين وقال بصوت متهدج

ـ لقد اصبح شرفنا مضغة فى أفواه اهل القرية

فقاطعه والده بوضع يده على فمه أردفها بنظرة قوية جعلته يربط لسانه فى فمه وينكمش فى مكانه وقال مخاطبا محمود

ـ يا بنى . . . يا بني العزيز . . إن اسم عائلتنا ظل سنين عديدة كالشمس تضيء ما حولها . تهتدى الناس بهدينا وتقتدى بأفعالنا ويتحدثون بمفاخرنا وفضيلتنا ونزاهتنا

أجابه محمود

ـ وما زالوا الي اليوم يحجون الينا فى جميع أمورهم وحل مشاكلهم . . . فهز الشيخ رأسه وقال

ـ هذا ما يصوره لك طيش الشباب . . . الذى يسدل قناعه على الحقيقة فلا تستطيع ان تشاهدها

فضاق ذرع محمود من هذه الألغاز فنظر إلى عمه نظرة توسل وقال

رجائي اليك يا عماه ان لا تخاطبنى بالألغاز

ـ صبراً يا ولدي . . . فقد طفحت الكأس وبلغ السيل الزبي . . إن شقيقتك سبب كل ذلك

ـ شقيقتى ؟؟ فردوس ؟ ماذا فعلت ؟ !

ـ الأمر بسيط . . لقد عينت أحد أصدقائك المدعو توفيق فى تفتيش مزروعاتك . وتركت له حرية الدخول والخروج الى منزلك

ـ هذا حقيقى . . ! ! ولكن ما دخل توفيق افندي فى شأن مثل هذا

فنهض مبروك واقفا على قدميه وشرر الغضب يتطاير من عينيه وشبح الانتقام ماثلا أمامه وقال بصوت أجش

ـ لقد أئتمنته على نفسك وعرضك فسلبك إياه

فثارت ثورة محمود وأخذ بتلاليب مبروك وهزه هزة عنيفة وهو يصرخ فى وجهه

ـ هذا كذب . . هذا افتراء . . سافل . . منحط . . دنىء

ولم يسكن محمود إلا بوساطة عمه الذى أخذ يهدىء من نفسه ويلاطفه بعد أن زجر مبروكا ورفسه بقدمه ما جعله يقف بعيداً عنهما فقال الشيخ متولى

ـ هدىء من نفسك يا بنى . . . ولا تجعل للغضب سلطانا على نفسك أو تعتقد فى الكذب ؟؟

ـ معاذ الله يا عماه . . إنما هذا الخبر . .

فقاطعه قائلا ..

ـ هذا الخبر صحيح . ولى من البراهين ما يمكننى من إثبات ذلك لك . . إن توفيق قد خانك

فقال محمود

ـ رباه ماذا أسمع طنين فى أذنى . . أيخوننى من أحسنت اليه. وانتشلته من أيدى البؤس حيث كانت تنهشه كلاب الجوع وتشرب من دمه ذئاب الزمن

ـ كلا . كلا . يابنى . . انه لم يصل بعد إلى الغرض الذى يريده . حتى كشف الله سبحانه وتعالى سره . . وذلك أن رآه ولدى مبروك مع فردوس عند الفجر فى الحديقة ولقد كذب نظره بادىء الأمر ولكنه عند ما سأل زيدان الخادم قال له انهما يجتمعان كل يوم هكذا

ـ زيدان ! ! ! قال ذلك . . آه لو صح هذا الخبر بأن توفيق يغازل فردوس فى الحديقة كل يوم

ـ أجل يابنى . . ولم يقف الأمر عند هذا الحد .. فقد سمعت بعض الناس من أهل البلد تهامسون حولى بذلك . وإن كانت ألسنتهم لاتنطق به أمامى إلا أن أعينهم تدل على ما يكتمون فى صدورهم

- ربي لقد أردت أن أتمسك بأبواب الخير فاذا به يقودني الى ميدان نكران الجميل المعسكرة فيها جيوش الشر

وما كاد محمود يأتي على آخر كلمة وهو يضم رأسه بين يديه حتى سمع صوت زيدان خادمه يخاطب عمه . . فرفع رأسه ونهض بسرعة مدهشة وهو مأخوذ بثورة الجنون والحيرة وقبض على يدي زيدان بقوة جعلته يركع على الارض بركبتيه متألماً . . صارخا . . فقال محمود

— قل الحق . . !

— ماذا ؟ سيدي . . سيدي . . أي ذنب جنيته . . حتى تضربني

— ماذا رأيت ؟ . . قل . . أسرع

- ماذا . . يا . . سيدي . . سل أجب .

- ماذا رأيت عند الفجر . . في الحديقة .

فارتجفت أعضاء الخادم المسكين لأنه أصبح بين نارين ، واصطكت أسنانه وتشنجت أعصاب عينيه وأجاب وهو يبلع ريقه بصعوبة

اذا كان سيدى رأى شيئا فلا داعى لسؤالى

- إذا كان سيدى رأى شيئاً فلا داعي لسؤالى

- إنى لم أر . . ولكنني سمعت

- ماذا سمعت ؟؟ لا سمح الله

فقال الشيخ متولى بعد ان رأي تردد الخادم فى ذكر الحقيقة

- المسألة بسيطة جداً يا زيدان . . قل لسيدك ما شاهدته عيناك والذى قلته لمبروك . ولاتخشى شيئاً . فأنت أنت الخادم الأمين

فقال محمود وفى صوته رنة حزن ويأس

- أجل . . . أرجوك ان تتكلم . . . ماذا رأيت

- أى شيء أقول سيدي . . أى شيء

- حسنا ألم تر فردوس شقيقتى فى الحديقة عند الفجر

- بلى . . وهذه عادتها طول حياتها منذ تركت المدرسة وأتت الينا فقد تعودت التنزه فى فجر كل يوم

أعلم ذلك جيداً . . ولكن ألم تر أحداً معها فى الأيام الاخيره

- بلى : . سيدي آه عفواً

قلت لك تكلم و إلا وشرف أبى لأحطمن عظامك وألقيتك فى قرار هذه الناعورة

سيدى . . سيدي أجرنى من ذلك فأنا رجل مسكين

ـ لاتخف . . أقسم لك بشرفى . . ألم أكن أنا ولى نعمتك

ـ أجل .. أدامك الله

ـ إذاً قل ... من هو الذي يتردد على الحديقة عند الفجر . .

ـ توفيق افندى

ـ إذاً رأيته معها

ـ بلى انهما يسيران سوياً حتى اذا ما دنت الشمس على وشك الشروق اختفيا معاً

ـ ألم يراهما أحد غيرك

ـ لست أدرى ... ولكنك تعلم يامولاى أن المسجد الذى شيده المرحوم والدك على مقربة من المنزل والمصليين من أهل البلد يأتون اليه زرافات ووحدانا ولا بد لهم من المرور بسور الحديقة

آه . . إذاً اذهب ولا تتحدث باى كلمة مما دار بيننا

ثم انه التفت الى عمه فرآه واضعاً يده على ابن عمه مبروك الذى وقف قريبا منه وقال

ـ مارأيك ياعماه ؟

ثم التفت الى مبروك والدموع تنهمل من عينيه وقال

ـ عفواً ياابن عمى العزيز واقبل معذرتي عما فرط مني

فقال مبروك

ـ لاتهتم بشأني فما هي الا ثورات غضب تعمي القلوب

جرت دموع العار على وجنتي محمود وسأل عمه المرة الثانية وهو يجلس على أرض الحقل

ـ رأيك ياعماه . . رأيك ياعماه

أجابه

ـ لقد فكرت في الامر كثيراً وحاولت جهد استطاعتي أن أصلح ما فسد وأرقع الخرق دون أن تشعر أنت أو تعذب أذنيك بسماع هذه الحادثة المؤلمة . . لما أعرفه فيك من رقة الشعور ودقة الاحساس . فأرسلت زوجة ابني الفردوس تعلمها برغبتي الشديدة في زفافها الى مبروك وقد ترى من عملي هذا أن أقدمت على شيء ما كنت أرضاه ولو وضع حمل المشقة في عنقي ولكن هذا عرضي يجب أن أستر عليه أمام الناس تتقولين . . . وبعد كل هذه التضحية . . أوتدري ماذا كان جوابها ؟

ـ ماذا ؟ ؟

ـ طردت ابنتي شر طردة . وقالت أنا لا أتزوج الا بشاب

متعلم يروق لى منظره . عجبا لتلك الفتاة ان تشرف عائلتنا عن هذا ذاك بتاتا . . ما كانت بناتنا لتختار الزوج الذى تريده ولكننا نختاره لها وما عليها الا الاذعان .. هذه سنة جدودنا ياولدى

فقال مبروك

ـ أجل انها تريد بالطبع أن تتزوج بتوفيق افندى

أجابه محمود

ـ خاب فألها فانها لن تنال ذلك ولو تعلقت باذيال السحاب

فقال الشيخ

ـ وهذا مايدعو اليه الشرف الذى لترضى بذلك عظام أبيك فى قبره . . اسمع يابنى اننى لم أقف عند هذا الحد بل أرسلت اليها مبروكا ليفاتحها فى الامر فكان جوابها طرده أشنع طردة مما لايليق بها حق مخاوفات الله . . . ومع ذلك اننى لم أقصد بهذا الزواج الا قصد واحد وهو تلجيم هذه الالسنة التى تتلوك بحوادث غرامها مع مفتش الزراعة

ـ الخلاص

ـ الخلاص يابنى . . . أقوله لك بصفتى رجل جرب الدهر وعارك الحياة وبنوع خاص لان هذا الامر يهمنى كما يهمك . . .

الخلاص هو إبعاد مفتش الزراعة توفيق افندي والذي أراه لم يراع حرمتك والذي هدم بمعول العار حصون كرمك ومروءتك . . يجب أن تفصله عن عمله وتأمره بالسفر حالا

ـ أجل سيسافر هذا الوغد الليله . والا قتلته بيدي

فقال مبروك

ـ من أبيك يامحمود . .

فقال الشيخ متولى وقد برقت عيناه بشعاع الامل وترنمت أوتار قلبه بنغمات السرور

ـ لا داعى الى استعمال الشدة فلا تمادوا بالتمادى يا أولادى فى حين يمكنكم أن تغنموا بالاعتدال .. فيكفى أن تأمره يابنى بالسفر وبعد ذلك تشرع فى معدات حفلة زواج فردوس بمبروك وطبعاً سنجد معارضة كثيره منها ولكن هذا لا يمنعنا من السير فى طريقنا فلا تلبث فردوس أن ترجع الى الطريق المستقيم

ـ سيتم ذلك ياعماه . فلنبدأ إذاً . إنى شاكر لك سهرك على مصلحتنا وعنايتك بامرنا . فأنت صاحب الأمر والنهى

فنهض الشيخ متولى وقال

ـ ألا فلنبدأ الآن بطرد ذلك الشرير دون أن يعرف السبب

كي لا تكثر أقاويل الناس

ـ حسنا سأفعل كل ما تأمرني به

قال هذا وهو يقبل يدي عمه . وهرول نحو جواده فامتطاه وأطلق له العنان فسابق الريح في عدوه وبعد أن ابتعد قليلا نظر الشيخ متولى الى ولده مبروك وقال

ـ ألآن قد اطمأن قلبى .. ولم أخش الفقر بعد ، ان هذه الاملاك الواسعة ستصبح في يدي . وأنت يا ولدى قد أصبحت فردوس الجميلة الفتانة ملكا لك

فقبل مبروك يد والده وهو يكاد يطير من الفرح وقال

ـ أطال الله عمر أبى

أجابه

ـ حقق الله الآمال

***

بينما كانت هذه الاشياء تجرى بين الشيخ متولى ومحمود ومبروك كانت فردوس تحادث توفيق بما حصل مع ابن عمها وكيف أنه هددها بقتله وكانت عبراتها تسابق كلماتها التى أثرت فى توفيق أشد تأثير فقال مهدئا لنفسها الهائجة

ـ وهل هذا يحملك على دعوتى اليك فى مثل هذه الساعة

ـ آه اننى خشيت عليك منه

ـ هدئى من نفسك يافردوس فأنا لاأخشاه مطلقا . . انه شاب معتوه

ـ انه جبان شرير يجتاح كل مافى طريقه دون تفريق واذا غضب نسى أن هناك شيئا يقال له الجزاء والموت

ـ هـذا لايهمنى مادمت أنت راضية عنى ، ، فليس لى فى هذا العالم سواك

ـ لاتقل ذلك ياتوفيق فأنت لى مادام بى عرق ينبض

ـ آه يافـردوس لو كنت أنا غنياً لوقفت الان أمام الـكل موقف الند للند لا المرءوس للرئيس ، ولا نتهى الامر بالزواج ان تعذيب أو ألم ، ، الغني ، الغنى هو كل شيء فى الحياة

ـ لاتتحدث بالغنى والفقر مادمنا أمام سلطان الغرام فالـكل أمامه سواء بسواء ، ، توفيق ان قلبى مضطرب

ـ كيف ؟ ولمـاذا ؟

ـ أشعر بان هناك مصاب يهددنا

ـ لاتقلقى بهذه اوهام تتسلط على مشاعرك بعد الذي حدث

ـ أخشى أن ينبيء مبروك اخى بامر اجتماعنا لانه قال لى ذلك فى سياق حديثه

فقال توفيق وقد علت وجهه صفرة كصفرة الاموات

ـ ياله من شقى . ألم أقل لك أن فى اجتماعنا هذا خطر علينا إذ لا يخلو الامر من انكشاف اجتماعنا

ـ هكذا قدر وهكذا كان

ـ اذاً نحن أمام أمر هائل ،، فماذا نفعل ؟

ـ ماذا نفعل لست أدرى ،، انني لا أستطيع الامتناع عنك ،، لقد رأيتك فراقنى منظرك وحادثتك فلذ لي حديثك فأنت سعيد بذكائك ، غنى بعلمك فأين لى أن أجد شابا مثلك درس مسالك الحياة وعرف معانيها

ـ لابد لى أن أخاطب أخيك قبل أن يعرف من الغير ، وأكاشفه برغبتى فى زواجي بك ولا بد له حينذاك أن يفوض الامر اليك فاظهري له عدم رفضك طلبه وارتياحك لذلك وهو بلا شك موصوف بعواطفه الرقيقة فسينزل على إرادتك

ـ أجل ،، أجل ،، حقق الله ذلك ،، وبعد أن نتزوج نرحل عن هذه البلد إذ لا تروق لي الاقامة هنا وسط هؤلاء الاشرار

— متى تم ذلك رحلنا الي أي بقعة تروق لك

آه ياتوفيق انه ليخيل الي أن أحتضن بالسماء اذا تم ذلك

— وحينذاك ألتحف أنا بالسحب

— حيث نصير ملكان من ملائكة السماء نطير فى جو السعاده بأجنحة السرور

— ياليت ذلك ممكن ، انه ليخيل الي أن أفتح قلبى بسكين الغرام ثم أضم جوهر روحك كي لاتصل اليها أيدى الغرباء ، ، فتصبحين ملكى لاينازعنى فيك منازع

— إنى لك ياتوفيق مادمت حية ، ، هذا وعد مني بذلك

ثم انها القت برأسها على كتفه وهو يجهش بالبكاء فشاركته دموعها وهب النسيم ملاعبا شعرها الاسود الذي تطايرت منه بعض شعيرات على وجه توفيق فشم منه عبيرا كعبير جنة الفردوس ، ، فلم يلبث أن طوقها بذراعه وقال

— فردوس . . !!

أجابته وهى مغمضة عينيها يغطى وجهها بعضا من شعرها المسترسل فكان منظرها كالبدر وراء الغيوم المتقطعه

— توفيق . . ألتمس منك أن لاتفارقنى

— سأكون على عهدك ماحييت

— وأنا أيضا . . لك كلي



« القبلة الاولى فى هذا الغرام »

وعند ذلك أحني توفيق برأسه لاول مرة وبحثت شفتاه على فمها فالتقياه عن قبلة هى الاولى فى هذا الغرام العذري والتى كانت عربونا على حبهما الابدى

خرج توفيق من المنزل وهو فى حالة يرثى لها وما كاد أن يخطو بعض أمتار حتى قابله أحد الفلاحين وسلمه رسالة وأخبره أنها من عند مولاه محمود فأخذها بيد مرتعشة حاسبا لها ألف حساب ثم انه فضها ونشرها أمام عينيه وقرأ ما يأتى

حضرة توفيق افندي

يؤلمنى جداً أن أصارحكم برأيي وهو انى عزمت على ترك إدارة الاطيان الى حضرة عمي الشيخ متولى والذي قبل ذلك على شرط أن لا تكون بها أيدي لا يريدها

وقد قال لى أنه لا لزوم لمفتش للزراعة مادام هو سيباشرها بنفسه . لذلك حررت اليكم خطابي، هذا وانك لتجد الأسى بين سطوره

أقبل منى ما بداخل هذا الخطاب وأرجو أن تترك البلدة هذا المساء وستصلك أخبارى بعد ذلك

ختاما اقبل فائق احتراماتى صديقك

محمود

ما كاد توفيق ينتهي من قراءة هذه الرسالة حتى أظلمت الدنيا فى عينيه وحار فى أمره اذ فقد انقطع كل رجاء . فقد كان

يأمل فى محمود خيراً فاذا به يأمره بالخروج من البلده وفى هذا المساء . وعد الاوراق المالية التى أرسلها محمود اليه فاذا بها عشرون جنيها

وقف توفيق بين الحيره واليأس وأخيراً رفع رأسه وقال

« إننى رجل ويجب ان ابحث لى عن عمل ، ومتى اهتديت الى ذلك ارسلت اليها فاذا ما كانت مقيمة على حبي اقنعت اخيها بالزواج بي وان رفض جاءت الى وتزوجتها رغم الكل .. واذا ما رفضت كان رفضها هذا سببا لسلوتى إياها وكرهي لشخصها

آه فردوس . . وداعا ،، انى احبك وسأحبك حتى قبرى

ثم انه أخرج من جيبه ورقة وقلما وخط بعض كلمات الى فردوس هذه خلاصتها

فردوس . . يامالكة الروح

امرنى اخوك بالسفر حالا من المدينة بعد ان فصلنى عن عملى زاعما ان عمه الشيخ متولى سيقوم بشأن الاطيان

إنى واثق بان هذا خداع وكذب ،، ومع ذلك فسأسافر فى قطار المساء حسب امر اخوك وسأرسل اليك فى كل يوم خطاب عن حالتى

رجائى ان تسمعى صوتى الضعيف وتشفقى على هـذا الذى يموت تحت قوائم عرش حبك ويسفك آخر نقطة من دماء حياته من اجلك. رجائى ان ترسلى الى خطابات كي تهدأ بها نفسى وتكون سلوتى فى الوحده

اقبلك يافردوس

الودائع يافردوس ؟ توفيق

العنوان — يحفظ بشباك البوسته

وبعد ذلك عاد الى المنزل فرأى من حسن حظه فردوس واقفة وراء النافذة بعد ان صعدت من الحديقة فاشار اليها بالخطاب والقاه على ارض الحديقة من بين قضبان الحديد ثم اختفى بسرعة بين الحقول

بعد نصف ساعة من هذه الحوادث كان توفيق جالساً فى إحدى عربات السكة الحديد بالدرجة الثانية مطلا من النافذة شارد الفكر مسلوب اللب مناجيا نفسه بعد ان القى آخر نظرة على مدينة بنها . قال

آه أيها الالم ، من أنت يامن لا تريد أن تفارقنى . إذا نظرت اليك من أى وجهة أردت فلا اجد لك غير لون واحد ومظهر واحد فالوجه المتألم لا يمكن أن يستر قلبا طروبا ، وصدى الشهقة

يستحيل ان تكون قهقهة ، فظاهر الالم ألم لانه لا يحمل نقابا على وجهه

لامراء فى أن للخيال دخلا فى كل امور الحياة قليلا كان ذلك أم كثيرا فالسرور والانشراح وغير ذلك من حالات الصفو مصدرها الخيال أما الالام والاكدار فمنشؤها الحقيقة ، والالم الناشيء عن الحقيقة مصباح ينير طريق السمو أمام الروح ، لان عين السرور كليلة عن حقيقة المرئيات ، أما عين الاكدار والالام فترى الاشياء بوضوح تام . ومثل ذلك الاحساسات الناشئة فى ظل قلب سعيد يكون أكثرها سطحيا مموها بطلاء سريع الزوال

أما احساسات القلوب المملوءة بالاحزان والاشجان فهى فى الغالب حقيقة . ان الالام تحيى فى النفوس ما أماتته الغفلة وتمحو اثر كل لبس وابهام وتزيح من امام الانظار ستار الاوهام والخيالات فتزداد بذلك بصيرة العيون الكليلة وتشتد حدة الاذهان البليدة وتقوى الاحساسات فى القلوب الضعيفة

الالم درس واطلاع وتحمل الالم معناه إدراك . . . اما الادراك فهو الوصول الى الحقيقة وعلى هذا الاساس تتوقف دقة الحواس باكملها ، وهكذا صار توفيق فى طريقه الى القاهرة تاركا

فردوس تحت قوارص كلمات اخيها محمود مرغماً اياها على قبول مبروك زوجا لها



الفصل الرابع

١٦ ابريل سنة ١٩٢٤

من فردوس الى توفيق

روحي

إنك منذ تركت البلد وانا أسرب من هيامي الى معالم الطبيعة على أجد فيها تعزية وسلوى . أو علها تعينني على الصبر والجلد . ولكنها تزيدني ياتوفيق وجداً عليك وصبابة اليك

إنني أشاهد طلعتك في شروق الشمس وهي تتلألأ تحت ذلك الستر الشفاف من الحب الكامن في الفؤاد . ويبعث ضوءها في نفسي شعاع الامل

إنني لعبث بي الهواجس والاوهام مع طول الليل الأليل الذي أقضيه على أحر من جمر الغضى وأمر من شوك القتاد

وأشاهد في غروبها وقفة الوداع ومبدأ الذكرى فتغشاني الوحدة والكآبة . فلا أأنس بشيء حتى يظهر البدر فأطمئن قليلا لانني أرى صورتك في وجه القمر مطلا على من سمائه . فلا أكاد

أفرق بينك وبينه

أري فى صفاء الماء صورتك أيضا ، وفى عليل النسيم رقتك وفى علو السماء مكانتك ، وفى نضرة المزارع وتفتح الازهار ابتسامتك وفى هبوط الندى عند الفجر بكائك ، أجل ... بكائك حين كنت تلوح لى بذلك الخطاب الاسود ، حين الوداع الذى شعر به قلبى ولم أكن أتوقعه فياسبحان الله من قسوة الانسان

أسمع ياتوفيق فى تغريد الطيور صوتك ، وفى خرير المياه أناتك الخفية حين الوجد وفى حفيف الاشجار تنهداتك العميقة وقت الشوق

أنا ياتوفيق أقاسى من قوارص الكلم والحاح الطلب كي أقبل زواجى بهذا المعتوه (مبروك) ولكن ثق ياتوفيق انه لو تبدلت الارض غير الارض والسماء غير السماء لما رضيت سواك بدلا

واذا ظننت أن ثروتى تحول بينى وبينك . . إنى لارفض هذه الثروه بقدمي وآتى اليك متى وجدت عملا يقوم بنفقاتنا

آه ،، انى أشعر الآن بضعف شديد يتولانى كل مساء وقد قيل لى أنه ضعف استولى على فمعذرة إذا ماوقفت عن الكتابة ونوى أن لايقف القلم عن بث حبي ولوعتى لك

معذره وألف معذرة ، وانى أقبلك قبلة المساء

فردوس

العنوان : فردوس لمى - بوستة بنها

١٨ أبريل سنة ٤ ١٩

من توفيق الى فردوس

زهرتى

تلقيت رسالتك وأنا على جانب عظيم من الامل ، أعاني منه مايكاد يذهب بالبقية الباقية من جلد النفس، ولكنه عذاب عذب يافردوس لانه فى سبيل حبنا الطاهر وأنا أتحمله بصبر وجلد ، عدت الى ذكري أيامنا السالفة أشعر بقوة تسخر بالالام وتهزأ بالعوازل والحساد، ، لاتمر بي ساعة الا وأردد نشيد الحب الذى نظمته لا آلهة على ألسنة العاشقين ، ، وكلما فكرت فيك أرى الحياة صفحة من أحلام السعادة والعالم « فردوس » شهيا

وكثيراً ما أجلس أمام نافذة غرفتى التى استأجرتها وأرقب الافق الذي يفصل بيننا فأتمنى لو تطوى صفحة هذا الفراق لانى أرى الساعات طويلة والايام مملة ، وتعزيتى الوحيدة التى لى فى هذا الفراق هي علمى بان حبل حبنا أمتن من أن يفت فيه إلحاح أخيك بما يريده من زواجك بابن عمك

ولقد يتاح لك وأنت بعيدة عني أن تري، أن مبروكا يفضلني في الثروة ولكنه لم يفضلني في الحب لان قلبي يفيض عبادة أمام هيكلك المقدس وقلبه يفيض مآربا وأغراضا، فحبك يتغلغل في صدري ويملأ كل زاوية من زواياه

هل تذكرين الزهرة التي اقتطفتها بالحديقة وأعطيتك اياها وكيف قبلتها ووضعتها في صدرك ثم عبث بها النسيم ونثر أوراقها فسقطت ولكنها لم تذبل، الا أن الايام قد تستطيع أن تفرق بيننا بالفردوس ولكن زهرة حبنا لم تذبل الي الابد، وكيف ترضي الآلهة أن تذبل زهرة نبتت في القلوب الخافقة وسقتها دموع العاشقين؟ ألا إن الحب هو الغذاء الذي تقتات به أرواح الملائكة اني أقضي ساعات الليل مستوحيا آلهة الشعر فلا أجد سوى كلمة الحب وهي على كثرة ترديدها لا يبلي الزمان جدتها ولا تنقص الايام جمالها فهي تتردد في زقزقة العصفور وحفيف الاجنحة وأنين الاوتار وخفقان القلوب، بل هي همس الروح الى الروح ومناجاة النفس بالنفس، ولو جرد العالم منها لاصبح الكون فراغا والحياة مملة

بحثت طول يومي عن عمل فلم أحصل الا على وعد من أحد الاصدقاء لان تقدمني الى أحد حضرات المحامين كي أشتغل في مكتبه

أما مسألة مجيئك الى فأنا أقدر لك هذه العاطفة والتضحية ولكنني أحذرك من هذا العمل الجنوني سوف تزوج على رءوس الاشهاد وأنت مرفوعة الرأس وأخوك موفور الكرامة ، فلا تفكري في هذا الامر الذي لاتقبله النفس الابية ولا يرضاه الضمير الحر ، خير لنا أن نموت على هيكل حبنا بين زهور التضحية من أن ندنس اسم عائلتكم

لاتقطعي عني رسائلك فانها عزائي الوحيد في وحشتي الدامسة وكلما تلوتها يتمثل لي محياك الجميل ويخيل الى أنني أسمع صوتك الرخيم ، ياحبذا لو صحت الاحلام ، إن رسائلك في حرز حريز ومتى انتقلت « لاقدر الله » قبل زواجك من هذا العالم فسأنقلها معي لتقرأها الملائكة في فردوس العاشقين ،، أوليس الحب نعمة من نعم الاله نثرها على قلوب المحبين ؟ فما هو مبلغ حبك لي ، خبريني ؟ ؟ أنا في انتظار مايخفف لوعة هذا الفراق فعسى أن ألاقي منك في الغد ماينعش آمال هذا الفؤاد المتعذب

توفيق

١٩ أبريل سنة ١٩٢٤
من توفيق الى فردوس

زهرتي

مسكين ذلك العاشق الولهان ، يطرب ويحزن ، ويسعد

ويشقى ، ويموت ويبعث ، في اليوم الواحد مرارا عديده

لشد ما يتأثر العاشق بسماع الموسيقى ولحر ما تقع من قلبه ، الذي كلما عبثت أيدي الموسيقيين وأفواههم بآلاتهم اهتزت أوتار قلبه تلك الهزة التي لا يعرفها الا العاشقون الأولى انتزع الحب من قلوبهم شوكة الغلظة والفظاظة ، وأتاهم من لدنه عواطف رقيقة وشعوراً جميلا

وعرته تلك الرعدة التي تتمشى في عروق المحبين قسرا عنهم ، وتدب في نفوسهم دبيبا سريعا ، وتسري في أجسامهم سريان الكهرباء ، وانشرح صدره ذلك الانشراح الذي يسبق الحزن المتوقع ، ثم ينقبض شيئا فشيئا ، ويضيق جزءا فجزءا ، حتى تمتلىء صفحاته بمؤثرات الشوق والهيام ووداع الصبابة والوجد

وفي ذلك الحين يافردوس قد لا يطيق الصبر الطويل على مواصلة الاصغاء مالم يبذل من دموع عينيه ما يظنه يخفف عليه

هذه حالي يافردوس يا ملاكي الحارس منذ فارقتك فقد ضاقت مدينة القاهرة على اتساعها في نظري ، وقد تقودني قدماي الى حديقة الازبكية وأجد السلوى في نغمات الموسيقى التي تعزف هنالك بين الاشجار والتي تذكرني صوتك الجميل فيضيق صدري وتذرف دموعي بالبكاء حتى يخيل لمن يراني انني معتوه أو مسني

الخبل

وكل ما أستطيع أن افعله هو ان احمل نغمات الموسيقى قبلة يسير بها النسيم اليك

فهل وصلتك تلك القبلة ؟ هذا ماأسائل به نفسي

قابلت اليوم حضرة المحامي بواسطة صديقي الذي ذكرته لك بالخطاب السابق وأوعدني وعدا جرا بان يضمني الي مكتبه ابتداء من اول شهر مايو المقبل بمرتب قدره خمسة جنيهات وسأوافيك باخباري

لم يصلني منك خطاب فآلمني ذلك جدا

توفيق

٢١ ابريل سنه ٩٢٤

من فردوس الى توفيق

حبيبي توفيق

كلما مر يوم جديد أشعر بثقل وطأة الفراق وأرجو من الله أن يقصر مداه واني لآنس من نفسي فى هذه الليلة ميلا الي الوحده لاخلو بخيالك الجميل واناجيك عن بعد ، ولست أرتاب فى ان ما اشعر به من الحب لك هو مثل ماتشعر به من الحب لى لان قلوب العاشقين أشبه بأوتار قيثاره اذا هبت عليها نسمة رددت

ان حالتنا الاجتماعية وما وصلت اليه من الفوضى ، ، المرأة عندنا في مصر لاتزال مهضومة الجانب ، مظلومة في حقوقها كما أنها مظلومة حتى في واجباتها العامة

حقا ان حجابنا مقلوب ونظامنا الاجتماعي لايصلح لامة تريد الحياة والبقاء ، وكذلك العادات المتبعة التي تتقيد بها عند الزواج والخطبة ، كلها لاتصلح لروح العصر عدا عن كونها منافية لروح الدين واليك يافردوس نبذا من الاحاديث النبوية في هذا الصدد لانعمل بها بل نعمل بضدها واذا شاء أحد أفراد الامة تنفيذها والعمل بها رمى بالفرنجة والمروق عن القواعد الدينية

ورد عن جابر رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر منها الى مايدعوه الى نكاحها فليفعل » أخرجه ابو داوذ

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال تزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انظرت اليها » قال لا قال « اذهب فانظر اليها فان في أعين الانصار شيئاً » وعن المغيرة رضى الله عنه أنه خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انظر اليها فانه أحري ان يؤدم بينكما (١)

إلا انني مع هذا لاأجد داعيا للخوض في مثل هذا الامر ،

---

(١) أى يجمع بينكما وتتفقا على مافيه اصلاح أمركما

ولكني ذكرته كي أريك برهانا واضحا على قسوة الانسان في مصر ، فقد اخترتك لنفسي زوجة واخترتني لنفسك زوجا ورضينا بذلك فما بال القوم لايرضون ؟

فأنت يافردوس تلك الزوجة التي تعرف حقوق الزوج
أنت تلك الزوجة التي تكون المربية لاولى لاطفالها

إني أجد هنا في القاهرة الفتيات وقد نفخ الغرور أوداجهن وفسد مزاجهن بتأثير انكبابهن على اللهو والتبرجه

الفتاة في القاهرة ملمة بجميع ضروب الزينة وأنواع الازياء الحديثة ، تجيد العزف على البيانو وترى من العار مزاولة واجبات المنزل بيدها ولكنها مع ذلك لايستنكف من الغرطسة على أصولها وذويها

وأنت يافردوس . قد رأيت فيك عكس فتاة اليوم فأنت ربة منزل ، لاتهتمي بالزينة مطلقا ، ولا تعيري الظواهر الكاذبة اهتماما فانا إذاً سعيد بزواجي بك سعادة لايحلم بها أي مصري . . !

ولكن مهلا . . فردوس إذ يجب أن لاندنس حبنا الطاهر باتباع كلمات الوحي الذي يتكلم بصوت الغضب .. فأنا لا أطلبك من نفسك مطلقا . . بل يمكنني الآن ان اخط الى أخيك محمود وأظهر له مايكنه ضميري وأطلب الزواج منك عسى أن تعمل كلماتي فيه مالم

يكن فى الحسبان ويرضى فتكر [illegible] .. [illegible]
مفتوح [illegible] مصراعيه . [illegible] يتسرب اليأس [illegible]

إنى [illegible] كبيراً [illegible] الجديد إذا أمكننى أن أحتك
بجميع طبقات الشعب فادرس أخلاقه حق الدرس . ويظهر أن
هناك فوائد مادية تعود على من [illegible] على هذا ، إذ [illegible] أكثر
من خمسة جنيهات

خالصاً [illegible] خالص الاحترام

[illegible] كلمة عن حالة المرأة المصرية وما [illegible]
اليه من [illegible] ان [illegible] في هذا
الاعتقاد [illegible]

٢٦ ابريل سنة ٩٢٤

من فردوس الى توفيق

أيها الحبيب النازح

اخذ النوم [illegible] اجفانى الليلة الماضية ، بعد ان [illegible] دوار
لست ادرى شدته ، ولست اذكر غير انى كنت [illegible] الوساد الطير
على اجنحة من الخيال معك فى جنة عرضها السموات والارض ،
وما كان اسعدنى [illegible] نومى هذا ، إذ [illegible] هذه الاحلام [illegible]
[illegible] [illegible] امام [illegible]

الذي سنعيش فيه أنا وأنت وأمامنا أطفالنا يفرحون ويرتعون ، ثم تعود الى صورة الحديقة ، حديقة منزلنا ، نكتنف مسالكها [illegible] أس يبدي شعور الود الجودي الذي تحبه أنت كي أقطف كل صباح وردة أضعها في صدرك كي أقطف كل صباح وردة أضعها في صدرك كي [illegible] باعثا لك [illegible]

[illegible]

[illegible] يومان ، [illegible] الحي [illegible] علم [illegible] فجاد عينا [illegible]

[illegible] ظهر [illegible] الذكري

[illegible] قليلا [illegible]

[illegible] ؟ ؟

[illegible] بالتوفيق

— آه [illegible] فان آلامي الجسمانية [illegible] بالظلم [illegible]

أقول لك الآن انك [illegible] انني عند رأيك بان ترسل لاخي خطابا عسى أن يلين قلبه ، ولكني أشعر بان ذلك كله ذاهب مع رياح [illegible] فهم كما [illegible] يخرجون عن الدين الحنيف والشريعة السمحاء

كثيراً ما قبلت رسائلك وبللتها بدموعي فكانت تعود الى

الحياه . . آه انني بلا شك مريضة ، فها أنا ألقى القلم من يدي وبعد ذلك أنتزع من امامي باقة من الورد اوراقها ذابلة وأضعها على صدري ثم أستلقي على الفراش وأغمض عيني فاراك ماثلا امامي . فاقبلك كثيرا

فردوس

حاشية — ارجو ارسال كلمتك عن المرأه المصرية كي أتسلى بها ولتكون لي درسا اتلقاه منك في مدرسة الحياه

من توفيق الى فردوس

فردوس

ذهبت ذات يوم عند الاصيل الى خارج القاهره على شاطىء النيل ودخلت إحدى شرفات الحدائق الغناء الطالة على النيل وجلست امام النافذه واطلقت العنان لأفكاري فتمثل لناظري سر تأخر المرأه المصريه فتألمت ونظرت لما حولي لاسرح رائد الطرف فرايت النيل يسير الهوينا كدموع مقلاء والهواء يهب عليلا كتنهدات لغرباء وكان الحزن استولى على الاشجار المتنهدة بحسرة كفؤادي . . أجل لقد هزأت المراه المصرية بالاداب واصبحت لاتهتم بها مطلقا مع ان في الحرص على الآداب العمومية والاخلاق الشريفة والنفسانيات العالية مسئولية عظمى على المرأه ، وربما كانت هي اعظم مسئوليه من الرجل ، فليس عليها ان تصون عرضها وعزة

نفسها وشرف عواطفها فقط بل ان تصون ايضا آداب الرجل واخلاقه من الفساد

ان الغواية تطرقت الى نفس آدم عن يد حواء فهي التي قطعت التفاحة ثم أطعمته والشيطان الغاوي لم يتقدم الى آدم بل تقدم الي حواء . لان عدة الشيطان وادواته موجودة عند حواء . في حواء عناصر الجمال المحرضة للعواطف لذلك استخدمها الشيطان للشر

فالمرأة والفتاة على الخصوص مسئولة عن كل ثورة نفسانية شريرة فاسدة في الرجل او الفتى فلذلك يجب ان يكون مظهرها لدى الفتيان في منتهى الحشمة لا يشف الا عن جمالها الروحاني

فاذا كان مظهرها يشغل الفتى في النظر الي زيها وبهجة ثوبها وخضاب تبرجها ورشاقة حركاتها او خلاعتها - إذا كان هذا المظهر يشغله عن النظر الى عينيها وما تبديانه من اخلاق ونبل ، فانما هي حواء وقد اغواها الشيطان لكي تغوي آدمها الذي لان مظهرها الخارجي هذا لا يشف الا عن جمالها الجسماني ويخفي وراءها جمالها الروحاني

اذا كانت الفتاة من محبذات الازياء الحديثة والعادات الطايشة عارية الساعدين ومكشوفة الصدر الى مقترب النهدين وقصيرة الثوب الى مافوق الركبتين وكان الثوب ضيقا يبرز فيه وركاها

ويتكور ردفاها ، يكاد ينبثق منه نهداها وخفيفا يكاد يشف عما وراءه من جمال فتان

اذا كانت الفتاة تظهر في ان مجلس هكذا فهل تظنين انها تبث للحضار جمال روحانيتها ، من سمو نفس ودماثة خلق وطهر روح

كلا يافردوس . والف مرة كلا . . متى كانت الفتاة بهذا المظهر الذى وصفناه كانت ولا شك مجذب الانظار الى تمثالها الصناعي الذي بث جمالها الحيواني فتمر الحضار على قاعة اصناف هذا الجمال من قمة الرأس الى الاخمصين ، فهل يمكن ان يحيل جمالها الروحاني انظارهم عن هذا التمثال الماثل ؟ بل هي يمكن ان تصد روحانيتها اللطيفة اذهانهم عن تخيل ذلك الجمال الحيواني المخبوء ضمن هذا التمثال واذا انشغلت بصائرهم في تأمل قاعدة الجمال الصناعي في هذا التمثال واستغرقت افكارهم في تخيل صور الجمال الحيواني المتوارى ، فهل في روحانيتها الطاهرة مايقمع ثورة عواطفهم الشهوانية ويكبح جماح نعراتهم البهيمية ؟

واذا كانت الفتاة تزيد على هذا المظهر انها تمادى في عشرة الفتى فتمازحه تارة ثم تكايده اخرى ثم يلاكزها حينا آخر . وربما تماديا في المداعبة الى ان يطاردها على الارض متظاهرا بالفوز .

اذا كانت الفتاة تقف عند هذا الحد او مثل هذا الحد وتمتنع

عن تجاوزه فهل تنتظر ان يكون الفتى مفتونا بجمال روحانيتها ولطف نفسانيتها وطهارة قلبها ؟ الغالب ان الفتاة التي تنهج هذا النهج في عشرتها مع الفتيان تجهل انها تلعب بالنار « وهذا ما تقع فيه فتيات مصر » هي تجهل ان الفتى التي تتصبا على هذا النحو لا ترفع روحه الى عرش الجمال الروحاني بل بالعكس تهيج عواطفه البهيمية التي تخلق هذا الزوج . ولا يبعد أنه متى افترق عنها مضى توا الى حيث تدفعه هذه العواطف ويأكل الثمرة التي هي عنه لأنها هي قدمتها اليه ..

أثم الاثم الذي تقدم نفسها عنه (أحيانا) وقد عرضته عليه ..

وبكل أسف أقول يافردوس أن الابوين والام على الخصوص يبرجان بنتهما ويبهرجانها ويلبسانها أقل الازياء حشمة ويطلقان لها العنان في معاشرة الشبان على أمل أن تستهوي عريساً لها وهما يجهلان أن هذا الاسلوب في الاستهواء لا يصطاد عرساناً بل (عشاقاً) . والعريس الذي لا يصطاد إلا بهذا الاسلوب فلا يصلح زوجاً

العريس الصالح زوجاً هو الذي يستشف بساطة مظاهر الفتاة وحشمتها عن جمال روحانيتها . لا الذي يستشف أنوثة زيها وشفافية ثوبها عن فتنة جمالها الحيواني .. ورأيي أن الفتاة التي تريد إلفاً

لروحانيتها يجب أن تظهر فى منتهى الحشمة والوقار فى لبسها وتبرجها وعشرتها وحديثها وحركاتها ورشاقتها وفى مقلتيها وحاجبيها وثغرها وفى ابتسامتها ومجاملتها وجلوسها ومشيها بحيث لا يشف مظهرها إلا عن نبل نفسها واناقة خلقها ولطف روحها ونقاوة قلبها وطهارة حياتها . .

لست أعني أن تجافى الفتاة الفتيان وتصدهم عنها بل بالعكس أعنى أن تبدى لهم من الوداد إلى آخر حد من الصداقه . . لا الي درجة الحب والعشق . لان الصداقة مهما عظمت تبقى ودادا عذريا وأما الحب العذري ففرض موهوم لا يثبت عند الحقيقة . لا حرج على الفتاة فى مصادقة الفتيان صداقة عذرية فلا تؤذن له بممازحتها أو أن يمد يديه اليها أو يفوه بكلام هراء فى حضرتها . .

إنى أحذر كل فتاة من الاستسلام فى الهوى العذرى الذى هو شرك الحب الفاسد فقد يكثر الفتى من الوعود والعهود إبان ثورة الحب ونشوة الغرام ويغلب أن يكون صادقا حسن النية مخلصا فى العهد . وأحذر الفتاة من التساهل فى غرامها أيضا وفى عشرتها مع الفتيان لان ذلك من أكبر دواعى هدم الوعود فى أبان ثورة الغرام ولان هذا التساهل ينزل قيمة الفتاه فى عين الفتى . .

فكونى أيتها الفتاة المصرية أطهر الموجودين تحت قبة السماء .

كونى كالسنبلة الشقراء التى يحبها الحصاد .

كونى كالكوكب المنحنى

كونى كالزهرة الناشئة

كونى لكل ما يتحدث ويبتسم

كونى كالطير المغرد فوق أغصان الشجر فلا تستطيع يد أن تمسه

كوني فرحة بمهارتك وحشمتك وأكثري من إبتسام العفاف فابتسامة المرأة هى انعكاس شعاع السماء وما فرحها الى هذه الحراره التى تسبب فى القلوب ذلك الضياء العلوى المسمي بالحقيقة

كونى شريفة إذ فى الشرف فضائل كثيرة وما العناصر الكريمة الا حركة منه فمن فضيلة واحدة صنع الله القلوب لا بوار كما صنع من ياقوتة واحده قبة السماء

هنا يجب أن أشفق على عينيك القراءه مرجئاً بقية حديثى إلي خطاب آخر .

إنى على العهد مقيم يافردوس — توفيق

من توفيق الى فردوس

حياتى

كل عاطفة الحياة الحبيبة أو غرض آخر حب مصغر فاذا شاء القدر بدت العاطفة وترعرعت فصار . حباً كاملا . ولكنه

أشد متانة وأدعم ارتباطاً ..

آه يا حبيبتى ... (يازوجتى) اذا تربنى ازاء أمرنا هذا فاءل المستقبل مظلم والجو ...م ولا أمل يبدو لا ...ا ولكنه سراب خادع !! آه ياحبيبتى !! ليس فى استطاعتنا أن نخدع أنفسنا بأن ال... كان ...ه ... هى لم تكن سماً فهى على الاقل عذاب وشقاء ولولا الامل والمستقبل لكنت الآن بين أمواج النيل .. ولكني أعلل النفس أنك ستكونين شريكتى فى نفسى . فى حياتي ونعيش فى بحبوحة الفرح والسرور تمرح بيننا أولادنا .. (الصغار) آه ... متى يكون ذلك ...

أوعدتك أن أتمم لك حديثى عن المرأة فى مصر وأشعر بأن هذا الحديث يروق لك لذلك أقول ان الفتاة العصرية أصبحت لاتحسن إلا أن (ترطن) بالفرنسية أو الانجليزية فى حين أنها لاتجيد التكلم بلغتها الاصلية

لا يمكن أن يقال عنها أنها (متمدنة) إلا إذا تبهرجت وتقضى الساعات الطوال فى قص شعرها وتنسيق ملامح وجهها وقد تكون ملابس زوجها ينسج فوقها (العنكبوت)

أن الرجل لا يريد زوجة (على ما أعتقد) إلا اذا كان لها قلب

نقى وعقل زكي ولسان عذب ونظر برىء ، تكون سنداً للرجل فى كفاحة الحياة والرفيق اللطيف المرفه . الذى ينسى متاعب العمل ويغسل النفس من أدران الخارج بما تفيضه على الوسط العائلى من المتعة والملاذ الطاهرة الصحيحه

ويجب أن تكون من خيرات العاملات لصالح العائلة وتهذيب البيئة التى نشأت فيها بالقدوة الحسنة التى تمثلها وتحض على تمثيلها

ولست أريد أن تكون الفتاة العصرية منزهه عن شوائب الحياة الاجتماعية بل أطالب ألا تخلو من العفة والطيبة والحرية وهذه الصفات الثلاث هى أمهات الدرر التى يصاغ منها أكليل فخر المرأه

أريد أن تتصف الفتاة العصرية بتلك الارادة القوية التى تقضي بها على كل وهم طائش وكل نزعة خلابة تخرج بها عن طور المألوف

وعندى أنه لا يوجد فى النساء دميمة حسناء مادمت أعتقد أن الدميمة هى الحسناء المجردة عن الطيبة والعفاف وأما جمال الملامح فانى أعدها أشياء ثانوية بجانب جمال الروح وطهارة الذيل

ومن واجب الفتاة العصرية التى وجدت لكي تقوم بأهم دور فى الاجتماع ـ دور الزوجة والام ـ الا تخاطر بمركزها السامى فى إتباع أهواء قلبها لانه مبعث شقائها كما هو مصدر هنائها

ولا يخفى أن من التربية الحديثة وأساليب التعليم فى المدارس

ما يربى فى الفتاة دواعى الوقوع فى الدنايا وبديهى أن أساليب التعليم المشوهة تطبع الفتاة العصرية بطابع غريب يدعو الى التشاؤم المحزن من جرعة النتائج المنتظرة من وراء تعليم الفتاة

أن مدارس الفتيات عندنا تجرى فى شؤون التعليم والتهذيب على قاعدة علمية محضة لا تخول الفتاة ان تكون يوما ما ربة عائلة بها بالمعنى الصحيح

وأن هذه القاعدة الناقصة كانت من أسباب شقاء العائلات وتوقف الشبان عن الزواج تشرفا من النفقات الباهظة التى تتطلبها بيوت لا تعرف رباتها من الواجبات المنزلية الا الراحة ولا من الحياة الا التفرج

أجل ان فتاتنا المتعلمة أصبحت أشد ضررا من الجاهلة فقد زادها التعليم تطرفا فى كل شان من شؤون الحياة ولا سيما فى تلقى الازياء الجديدة من غير تصرف يلائم احوالها الجسمية ودون مراعاة لحالة عائلتها المالية ولا الغاية التى تريد اقتناء الثوب من أجلها حتى أصبح الرجل فى أيامنا هذه يحتمل من النفقات على اجابة مطاليب الفتاة أضعاف ما يتحمله فى مستلزمات بيته وتربية عشرات من بنيه

وكل هذا نقص فى التعليم النسائى عندنا لا يعين الفتاة على احتمال أعباء الحياة ومتاعبها بل يدعوها الى الانهماك فى وسائل التبرج

والزينة او الاكثار من مطالعة الروايات واطالة الفكر فى أتفه الامور والاندفاع وراء تيار المجتمعات والتهافت على معارض الصور المتحركه بالتالى يبعث فى نفس الفتاه الخلق الردىء والبطالة ثم يتولد عن ذلك من سائر الامراض الاجتماعية مايتولد

وقد تبدو هذه النتائج أشد ظهورا لمن يزور مدرسة من المدارس ويرى أزياء الفتيات تماثل ماتعرضه الصور المتحركة فى كل أسبوع بل يرى فتيات لاهم لهن الا ان يقضين اليوم من صباحه الى مسائه فى الدرس والمطالعة وتلقى اللغات أما التعليم العملى فهى لاتريده ولا تريد المدرسة أن تدربها عليه مع أنه فى نظري اقدس واجب مفروض على سائر مدارس الفتيات فى كل البلاد

هذا رأيي يا فردوس فى حالة فتيات مصر ولي فى ذلك أراء كثيرة يطول المقام بشرحها فى مثل ظروفنا هذه . وذلك سأرجئها حتى نجلس سويا بين جدران غرفه الهناء . هناء الزوجية . . . .

. أرسل الى شقيقك خطاب ؟

توفيق

من فردوس الى توفيق

توفيق

وصلتني رسالتك عاءت رحلتك فى حياه الفتيات بكيف لاأشاركك

فى حياتك . . أنى رأيتك فأحببتك . كيف لا ؛ وقد رأيت فيك جميع الخلال الكريمة والصفات النبيلة ولا سيما من يوم أن أظهرت لى حبك وأظهرت أنا لك حبي

ولقد رأت والدتى منذ تلك الصفات فجعلت تلهج بالثناء عليك وتطريك اطراء الصديق الصدوق وان كانت تجهل ما بيننا من صلة الحب وكثيرا ما كانت تنصح لشقيقى ان لا يهمل لك رأيا .. ولكن هكذا شاءوا الدساسون. وإنى أقوه عليهم أنهم افاعى ولا أريد ان أتحدث عن هؤلاء الافاعى فحديثهم يطول

أتظن أن حالة نساء اليوم تدعو الى الاطمئنان . . لاأخالك تظن وهذه أفكارك قد ظهرت فى رسائلك

انهن قد جهلن الفضائل النسائية جملة وهجرن أكثر واجباتهن التى عليها المعول فى تحسين حال الاسره بل الهيئة الاجتماعية

ماهى وظيفة المرأه الحقيقية فى الوجود . اليست هي تدبير المنزل وتربية الاطفال . لكن أكثر سيداتنا نساء اليوم قد تركن هذه الامور جانبا وأتبعن بلا تروٍ ولا عقل (الموده) وتعودن كثره التبرج السمج والزينة (الماسخه) أما تربية الاطفال فقد تركت الى الخادم ولا سيما البنات فلا يستفدن من أمهاتهن غير أمور مسترذلة وصرن لايحتشمن ولا يتمسكن بالفضائل العائلية ولا يعرفن من

أمور العلم غير التافه والفاسد وقد ساعد على رسوخ قدم هذه الاحوال أو جلبها أحوال الوسط و تربية والاخلاق الفاسده التي من بينها قراءة الروايات الفاسده التي ربانا بها الغرب ولم يحسن الشرق الاختيار

إن ما ينبغي للنساء معرفته في اعتقادي ـ أنا بدوري ـ ينقسم الى خمسة أقسام بحسب أعمارهن

الاول خصيص الطفولة . فلازم البنت فيه ان تكون وديعة مطيعة لوالدتها مكبة على تعليمها

الثاني دور الشباب والاستعداد للزواج فيجب أن تكون البنت فيه مثال الكمال والادب والحشمة ومساعده والدتها في مهام البيت بل والقيام به على أحسن حال وأكمله

الثالث دور الزواج وهو أن تكون الفتاة في بيت زوجها واسطة عقده تدبيرا وصيانة وآدابا وإطاعة من جهة شريك حياتها حتى يحظى وإياها بالغبطة والسعادة والهناء

الرابع . دور الامومة حيث يجب أن تتيقظ المرأة لتربية اولادها تيقظا يفيدهم في المستقبل ويريح قلبها وقلب زوجها في الحال من جهتهم فيكونون سواء كانوا ذكورا أو أناثا نافعين انفسهم وآباءهم ومجتمعهم مشرفين اسم عائلاتهم وبيوتهم وأوطانهم

الخامس . دور الشيخوخة حيث تعرف الرأة الاجل أو قرب الانقطاع

للعباده وبث النصائح والارشادات النافعة المبنية على التجارب لاولادها وتستقبل منهم احترامهم لها وتبجيلهم لقدرها

فهل نساؤنا يعرفن هذه الواجبات ؟ هل هن شاعرات باعبائها ؟ يقال كما يقال في الصحف والكتب انه يلزم لذلك ان يتعلمن في المدارس أما انا فأقول بصفتي ممن تلقين في المدارس العالية . . ان المدارس للبنات لا بأس بها ولكن التربية العائلية ألزم منها . وهي سهلة بسيطة لاتحتاج الى مدرسة ولا تفتقر بنوع ما الى كتاب بل هي أمور ينبغي أن تكون نصب أعين كل العائلات وسبيلها المزاولة العملية بحسب الطبقات والاوساط

آه . لقد تعبت كثيرا . ياتوفيق ولكني كلما تخيلت شبحك أمامي أسترجع نشاطي ولكن . . مع كل هذا . . أري نفسي ضعيفة ضعيفة جدا . . وأشعر قواى تتلاشى شيئا فشيئا . . فسلامي اليك حتى اللقاء

فردوس

من توفيق ألى محمود

٢٦ أبرل سنة ١٩٢٤

صديقي العزيز

أتيت اليك بائسا ورجعت مملوءا بالماده فأنا شاكرا لك هذا الصنيع ما حييت وكان بودي ان اكسب رزقي وسط خطوط مزارعكم

وأبذل منسوجات جسمي على أرض مصالحكم ولكن ما كدت أفعل ذاك حتى بادرتني بذلك الكتاب الذي تأمرني فيه بهجر البلد في المساء . فرضوخا لارادتكم انسللت من البلدة وأنا كالسارق يتململ بين أعمدة الظلام . . لقد وشى الواشون اليك والقوا في أذنك ما اثار غضبك على أيها الصديق . . انى است ممن يجحدون الجميل ولا يكفرون بالنعمة حتى تعدوه الظالم بى . . انى لاحاسبك الان على ذلك

أقسم لك ياصديقي أغلظ الايمان بأنني ما بخلت مدة أقامتي على مصالحكم وعنيت بها أشد العناية ولكم ان تسألوا السماء عن ذلك فتنبئكم بصحة ما أقول . . أني اعتبر نفسي بعد كل هذا جزءا منكم وأنتم جزءا مني ويسرني ان أنزل اليك انني مشتغل الان بمكتب أحد المحامين ومرتبي يكفي لان أكون رب منزل . فالمشكلة الكبرى في طريقي الان هي الزواج . .

وأنت تعلم ياصديقي بأن فتيات مصر اصبحن ولا هم لهن غير التفرنج والبهرجة حتى لتجد الفتاة تسير وقد رفعت قناع الحياء ضاحكة مغازلة كل من يصادمها من الرجال عارية الذراعين بارزة النهدين مكشوفة الصدر والساقين وقانا الله شرها . فتاة مثل هذه لايمكن ان تصلح لادارة شئون منزل ولا تستطيع أن تقوم بتربية

أولادها . ومع هذا فهى تعتقد أن بتهتكها هذا تفتح لنفسها باب الزواج وما دربت المسكينة أنها تغلقه ثم تضع وراءه جبلا من الفولاذ

هذه حالهن وانى لأعرض عنهن كما أعرض جميع الشبان

ولكن ماقولك أيها الصديق بأنى قد وجدت تلك المخلوقة الوديعة المملوءة فضيلة وعفاف التى تعرف حق واجبات منزلها وتعرف كيف تصون شرف زوجها وتشيد السعادة على أساس الفضيلة . . .

ماقولك ياصديقى أن وجدت هذه الفتاه . . الا يمكن انأ كون سعيدا اذا تزوجتها ؟

حقا أكون سعيدا وسعيدا حقا

إن هذه المخلوقة . بل هذا الملاك الطاهر يعيش تحت سقف بيتك تبتسم مع الصباح وتغمض جفنية عند هجوع الطيور . . هي شقيقتك الانسة فردوس . فهل أستطيع ان اتجاسر على طلبها منك أنا ذلك الفقير وأنت ذلك الموسر ؟

ما كنت أجسر على طلبي هذا لولا علمى بأنك تحتقر المادة لا تغتر بالظواهر فأنت محمود ابن الحقيقة . .

والحقيقة أنني رجل أعرف كيف أجعلها سعيدة فهل لك أن تعطيها لرجل . . كلى رجاء عظيم . . ؟

توفيق

من فردوس الى توفيق

٢٧ ابريل سنة ٩٢٤

ياوحى الامانى .

تزداد فحمة الليل سواداً . وتشتد الاعاصير هوجا . وأضواء النجوم خفوتا . والبدر شحوبا . بل لقد أقفرت السماء من الجمال ولم يعد القمر الفريد يطل على العالم من سمائه . فيلقى في قلوب العاشقين والبائسين بلسم العزاء والسلوى . بل لو كان الناس يرونه اليوم . كما كنت أراه بالامس . ريان الصفحة . مشرق الجبين . فأنا اليوم . أعتقد أن عين الجمال . قد نضبت من وجهه . وسناء نوره اللألاء . قد خبا بتاتا .

إني لأسكب الدمع دماً يا توفيق . أسفاً يفجع النفس أسى على زوال ابتسامه الحلو . الذى كان يبدد عن الحزين آلامه . وعن العاشق المهجور أشجانه . .

جاءنى أخى اليوم وهو مصفر الوجه مملوء بالوحشية وقال لى لقد صحت الاخبار فأنت كنت تحبين توفيق . . أو تنكرين ذلك بعد أن أرسل لى خطاب يطالبك زوجاً له دون حياء ولا خجل ؟ قلت « بلى أن أحبه » أحب فيه الفضيلة وأقدر فى شخصه الشرف » وما كدت أن أنتهى من جملتى حتى إنهال على ضربا ولكما حتى سالت

الدماء من فمي ثم حالت والدتي المسكينة بيني وبينه وحملوني الى فراشي ولقد سمعت منه هذا القول . . اسمع يا توفيق أنه يقول « يجب أن تسجن هذه العاهرة في غرفة نوافذها مشبكة بالحديد »

أنهم بلا شك سيسجنونني . يبعدونني عنك . يحجبون ضوء النهار عني ويدعونني في ظلام . فيا لظلم الانسان . . ألا فالوداع يا توفيق فلن أستطيع أن أكتب اليك في سجني . . إني لا شك سأموت فيه فلن أرضى عنك بديلا . فليعذبونني . فلينكلوا بي ما استطاعوا . فليغيروا كل شيء من حياتي . ولكنهم لن يستطيعون أن يمسوا قلبي . .

قلبي لك . . تذكر ذلك . .

قلبي لك . . . الى . .

أراك . . قبل موتي . . أشعر بالمرض يتسرب إلي . . تعالى يا توفيق أستحلفك بحبنا العذرى فردوس

من محمود الى توفيق

٢ مايو سنة ١٩٢٤

أيها الشاب

كان خير لك أن تحطم هذا القلم الذى ترجم على صفحة القرطاس

أفكاركم السخيفة . . والقول البذيء . فنحن ما كنا لنزوج أبناءنا للسوقة الذين لا يملكون شروى نقير .

كنت لا أريد أن لا أعير خطابك اهتمامي لكني كتبت إليك كي أقول لك . إنك سافل دنيء . . فابتعد خير لك وأبقى

محمود

الفصل الخامس

سكن الليل سكون المفكر الفيلسوف . وخشعت أصوات الوجود . وارسل القمر أشعته الفضية فى ثنايا الظلام فأخذ يتلاشى رويداً رويداً ،

وتجلى الضوء على الأرجاء فانعكس من صفحة الماء على بساط السماء فبدت مدينة بما أشجارها وأزهارها ومنازلها وأنوارها كأنها غادة هيفاء مزقت عنها حجابها وابتسمت إبتسامة الحب والتضحية

هنالك على شاطيء النيل جالس توفيق أفندي وهو غارق فى لجة من الفكر ، سابح فى عالم الوهم والخيال ، ، يرقب عن بعد منزل مالكة لبه فردوس محملقاً بعينيه الى جميع نوافذ المنزل عسى أن يرى شبحها ، ، وبعد ان مكث ما يقرب من ساعة كان يبتهل الى ربه أن يخفف عنه وعن فردوس مضاضة الألم ، وحرارة الذكري ، حيث قال رباه ، ، ، لقد جرى قضاؤك بما أردت فينا فما جهلنا أن لك القهر والغلبة وأن بيدك السعادة والشقاء ، والحياة والفناء ، وان لك عظمة

وكبرياء نراها فى السماء وبسط الماء ونلمح آثارها فى كل ما خلقت
ونرى شبحها فى كل ما أبدعت ، إن لك مع ذلك رأفة عمت الانام
وذلك رحمة كبرى بجانب جبروتك العظيم . ولطفا جميلا بجانب
هولك الجسيم . فأسألك ربى أن تسدل علينا ستاراً من الرحمة يمنع
عنا أعين العاذلين .

قال ذلك ونبرات صوته تنم عن حزنه وآلامه وشوقه وغرامه
ثم أعاد نظره الي جهة المنزل فاذا به يلمح شبحا يخرج من المنزل
كاللص يظهر ثم يختفى . يلفت وراءه وعلى يمينه ويساره حتى اذا ما
تأكد من أنه لا رقيب أسرع فى العدو نحو الحقول. فارتاب توفيق فى
ذلك الشخص فأخذ يمعن النظر فيه حتى أنه لم يتمالك نفسه من الصياح

— آه . هذا مبروك أراه مسرعا . وهو آت من المنزل. لابد
أن يكون فى الامر شيء، آه ربى إن قلبي ليخفق حتى أنني أسمع دقاته
وبعد أن تتبعه بنظره رآه ينضم الي شخص آخر وسط المزروعات
فتبينه توفيق جيدا فعرفه من بندقيته اللامعة مع أشعة القمر أنه
خفير الجهة، ثم ان مبروكا ابتعد عن الخفير ثم اختفى نهائيا ، فارتاب
توفيق فى الامر ، ولـكنه ما كاد يرجع ببصره نحو منزل فردوس حتى
ذعر فى مكانها وعلته صفرة كصفرة الاموات ووقف كالصنم لا يتحرك
لا غرو فقد رأى ان حياة أهل المنزل مهدده بخطر هائل اذا

لم يتدارك الامر فقد رأي ... الدخان ... من قش الموجود ... المنزل ... الخيرط حتى صرت ... الدخان ،

قلبي ... كانت أصوات ... متناسقة تنبعث ... جميع أرجاء ... في ... ... ات تصرخ ... كل مكان ... حريق ... حريق ... حريق

قال ... أ ... الدار

ـ الله ... ماذا ...

إ ... ال ... ... ن الجميع ... بين فقال احد ... ... و ... ... حالة ذعر شديد

ـ يظهر أن ... اسم ... شيء ... جميع المنزل ... نستطيع ... رجال ... في الوقت المناسب لانقاذ ... وهنا ... لدار هي ...

ـ محمود .. ! محمود . ? أين محمود .. أين ابني . ! ! أ تخرج من ... فقها ـ أجابها محمود ... مملوءتان بالدموع المحبوسه

ـ كلا لم أ ... ض ... ق وعطينه ... قام ... ن

وهنا أتى ذلك الخادم ووجهه أبيض بياض الورق فقالت له الام

— أين فردوس ؟ .

أجاب [illegible] ج الالفاظ [illegible] شفتيه

[illegible] فى

[illegible] الوداع

الى الغرفة [illegible]

[illegible] توفيق هذه الجملة [illegible] بن الجدار [illegible]

[illegible] أن كل [illegible]

[illegible] الا [illegible]

لم [illegible] توفيق [illegible] حوله [illegible]

معرضة الموت فلم يعرف [illegible] وانا [illegible] ألسنة اللهيب

[illegible]

[illegible] صغير بيض [illegible]

— [illegible] رجال

المطافئ [illegible] المنبر :

[illegible] أطرافه [illegible]

[illegible] صرت توفيق [illegible] هذه [illegible] . [illegible]

أنه [illegible]

لاول [illegible] صرت فردوس [illegible]

— لا أستطيع . [illegible] حديدية

حدث اذ ذاك أمر غريب لتوفيق ولم يشعر بنفسه الا وهو يتسلق جدار البيت مستعينا بأنبوبة تصريف مياه المطر وكان يستعمل في التسلق يديه وركبتيه وقدميه يساعده على ذلك ماكان ممرنا عليه نفسه من الالعاب الرياضية .

وكانت حرارة الجدران شديدة ولكنه لم يكن يبالي بها ولم يصل إلي سمعه صيحة الاحسان من المجتمعين

وكانت أنبوبة الماء تمر بالقرب من النافذة ولكن على زاويه بحيث لو سقط في هذه الحال لما كان على الملاءه بل على الارض فأيقن أنه لو أفلتت يده حينئذ لكان معنى ذلك موته ولكنه لم يبال بهذا الامر وقال في نفسه أنه لابد من الوصول الى النافذة بأى وسيلة كانت وشعر ان له قوة الاسد وان تلك القوائم الحديديه المقامة على نافذه سجن فردوس لن تقف في طريق انقاذها

وبينما هو يتسلق إحدى النوافذ بعد أن احترقت فلم يكترث لها واستمر متسلقا حتى أصبحت النافذة التي فيها فردوس في متناول يده اليسرى . وهناك عمل توفيق مالا يمكن ان يعمله رجل عاقل ولم تحمه من الخطر إلا العناية الالهية التي ترعى المجانين . .

مد يده اليسرى إلى عتبة الشباك وأمسك وخاص بقية جسمه من الانبوبة فبقى برهة معلقا كالعنكبوت على الحائط ثم أمسك بيده اليمنى العتبة أيضا وأخذ يرفع نفسه وكان الان فوق الملاءة مباشرة

وهنا ارتفعت اصوات المجتمعين

لم ييأس توفيق بكاة فردوس ولكنه قبض بيده على إحدى القوائم الحديديه . ورأت فردوس حبيبها بجانبها وسط اللهيب وكان عيناه تكادان تخرجان وعروق رقبته كأنها حبال غليظة . ولم تمض لحظه حتى سمع صوت انخلاع وهوت القائمة الحديدية على الملاءة ثم اندفع إلى الحجرة مسرعا وقال

— أسرعى .. فردوس أنا بجانبك .. !!

وفى هذه اللحظة سمع صوت إنكسار الباب واندفع اللهب والدخان الى الحجرة وأحاط بالفتى والفتاة فحبس توفيق نفسه وأخرج فردوس من النافذة المهدمة والقاها على الملاءة فتلقتها رجال المطافى ببسالتهم المعروفة فرقدت عليها سليمة وما كاد القوم يرفعونها حتى أبصروا بتوفيق وقد ظهر على عتبة النافذة وسط الدخان الكثيف واللهيب

وهنا رمى نفسه وملابسه ملتهبة بالنار فوقع على الملاءة فأطبقوها عليه كي ينطفيء ما تعلق بملابسه من النار

بعد ساعة كان دكتور البلد يعالج توفيق الفاقد الصواب . وبعد برهة فتح توفيق عينيه وكان أول كلمة قالها

— فردوس !! أين هى ؟؟ وأجابه صوت أحيى قلبه

— ها أنذا .. توفيق ..

ثم أن فردوس التى كانت واقفة بجانب سريره انحنت عليه

وقبلته أمام الجميع .

قبلته قبلة جمعت بين جسميهما اذ تقدم اليه محمود وهو يبكي من شدة التأثر . وقال

— معذرة صديقي . أن من يعرض نفسه للهلاك في سبيل إنقاذ مخلوقة لهو جدير بها .

ثم ان الاثنين تصافحا بينما كانت فردوس تضع باقة من الزهور على وسادة توفيق :

بعد أسبوع كان توفيقا وفردوس جالسان أمام المصور يأخذ صوره تذكارية لحفلة زفافهما التى اشتركت فى إحيائها جميع أهل البلد

بينما كان مبروكا وأبيه يقفان أمام القضاء يتهمان على ما دبراه فى إتيان هذه الجريمة بعد ان يئس الشيخ متولى من الاستيلاء على فردوس وثروتها لولده فدس الى إبنه ان يذهب اليها ويهددها بحرق المنزل ان أبت زواجها فأسرع اليها وانسل الى الدار وخاطبها وراء باب سجنها فكان جوابها الرفض : وكان جوابه على ذلك إشعال الحريق فى المنزل وقد سمع القضاء شهادة فردوس وأيدها الخفير اذ أنه قابله قبل إشعال النار بدقائق قليلة . والقى مبروك المسؤلية على ابيه بأنه المحرض له على ذلك :

وبينما كانا يدخلان السجن كان توفيق يضع قبلة السعادة على شفتى فردوس.

انتهت

تقريظ

بقلم الاستاذ الفاضل: شمس الدين الفرياني

قرأت كثيرا من الروايات وكان منها ما تلذ لي قراءته وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذه الرواية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يشعر [illegible] يمشون [illegible]

وحريات الامة ذ صورة من حياتنا المصرية ..!

ويشرف [illegible] شرح العلل الاجتماعية التي [illegible]

[illegible]

فيكونون [illegible]

لا تتعدى الحقيقة المؤلمة..

وروايات الاستاذ صبري لها ميزة اخرى اذ تنسق حوادثها وتسير سيرا طبيعيا هادئا فلا مفاجئات خارقة للعادة ولا حوادث يستغرب وقوعها في الوسط الذي يقص علينا قصته

ولعل القارى بعد ان قرأ هذه الرواية يشهد معى برقة لغة المؤلف وسلاستها فانه يختار الالفاظ الجميلة الوقع التي تعبر بدقة عن المعنى الذي يرمى اليه فاذا قص عليك شيئا محزنا أبكاك وان اراد الدعابة فهو حلو الفكاهة رقيقها

إسمع اليه وهو يناجى القمر على لسان (توفيق) ثم انظر اليه حين يقص عليك أراءه في الفتيات المصريات واحكم له معى بقدمه الراسخة في الادب والفلسفة .

وللاستاذ صبري في تقدم مستمر فهذه الرواية احسن من التي سبقتها وتلك أمتن من التي قبلها وهكذا سيأتي عليه يوم يبلغ فيه شأوا بعيدا في عالم التأليف القصصي المصري ويكون لقصصه المنزلة اللائقة بها في مقدمة قصصنا المصرية .

شمس الدين الغرياني

موظف

بدار الكتب المصرية

ومتخرج الحقوق الفرنساوية

هل قرأت رواية

؟ لص بغداد ؟

ان لم تكن قرأتها فاقرأها لانها معربة بقلم الاستاذ النابغة « عبد الفتاح افندي جاد »

. فان كنت طالبا : استفدت علماً وعملا وأدبا وفوق ذلك تكون قد صـ

كاتبا نشيطا لما تبعثه في روحك من ملكة الانشاء في كافة العلوم الادبية والفـ

الاجتماعية ومما تؤخذ من رقة أسلوبها ودقة وضعها وسلاسة لغتها

وان كنت تاجراً . أرسل اليك من الوحي الذي يعتريك عند قراء

فتتولد في نفسك قوة الارادة والصبر على المكاره الذي ينتهي بالنتيجة الحسـ

ويعود عليك وعلى تجارتك بالربح الوفير وذلك لما يتربى عندك من الافانين والحيـ

التي تؤديك وتوصلك الى كل مافيه النجاح والفلاح

وان كنت عاملا (صانعا) : فتستفيد منها كما يستفيد الجسم من الطعام ا

فهي قوت النفوس وغذاء العقول والمثل الاعلى للتربية النفسية الحقة .

وعلى العموم فانها الرواية الوحيدة في بابها والفريدة في وضعها ، فقد يكـ

للقارىء أن يعرف لصاً آثماً فاجراً ذات نفس خبيثة يطمع في ما في جيوب النا

وتمتد يده لسرقته عنوة عن سبق إصرار فيصبح خليفة المسلمين جالساً على

بغداد يحكم بالحق ويطارد الباطل وذلك اجابة لنداء حبيبته الاميرة زبيدة عند

استعطفها فى حبه لها قائلا « انني لست بملك ولا بأمير ولكني لص » فنادته قائلة

« أي أحمد أي لص بغداد لئن كنت لصاً فاقلل ذلك من حبي لك ولا

عاطفتي نحوك . واني سأصبر حتى . . فقاطعها بقوله حتام ؟ قالت حتى تستيـ

الخير المكينة في جوانحك وحتى تعود رجلا صالحاً براً فاضلا أميناً وفياً طاهـ

والاعراق . انني مؤمنة بك أيها الحبيب ، واثقة من طيبتك »

وقد مثلها أكبر المسارح مدة شهور وكان الاقبال عليها عظيما — اطلـ

من الباعة ومن المكاتب ومن مطبعة القاهرة بشارع منصور وثمنها ٥ قروش صاغ

